

IBN RAJAB

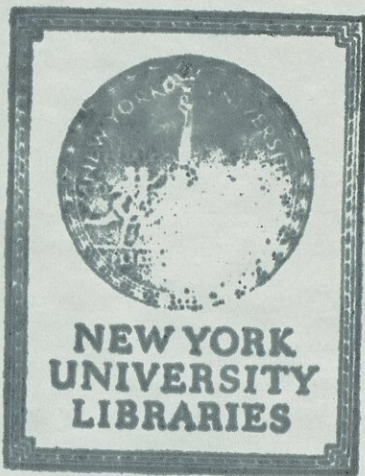
TAHQIQ KALIMAT AL-IKHLAS

BP
134
.F6
.I3
1950
c. 1

BOBST LIBRARY



3 1142 02771 6920



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

تحقيق كلمة الاخلاص

للمحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن المعروف بابن حبيب الجنبلي

المتوفى ٧٩٥ هـ

حققه وضبطه وعلق عليه

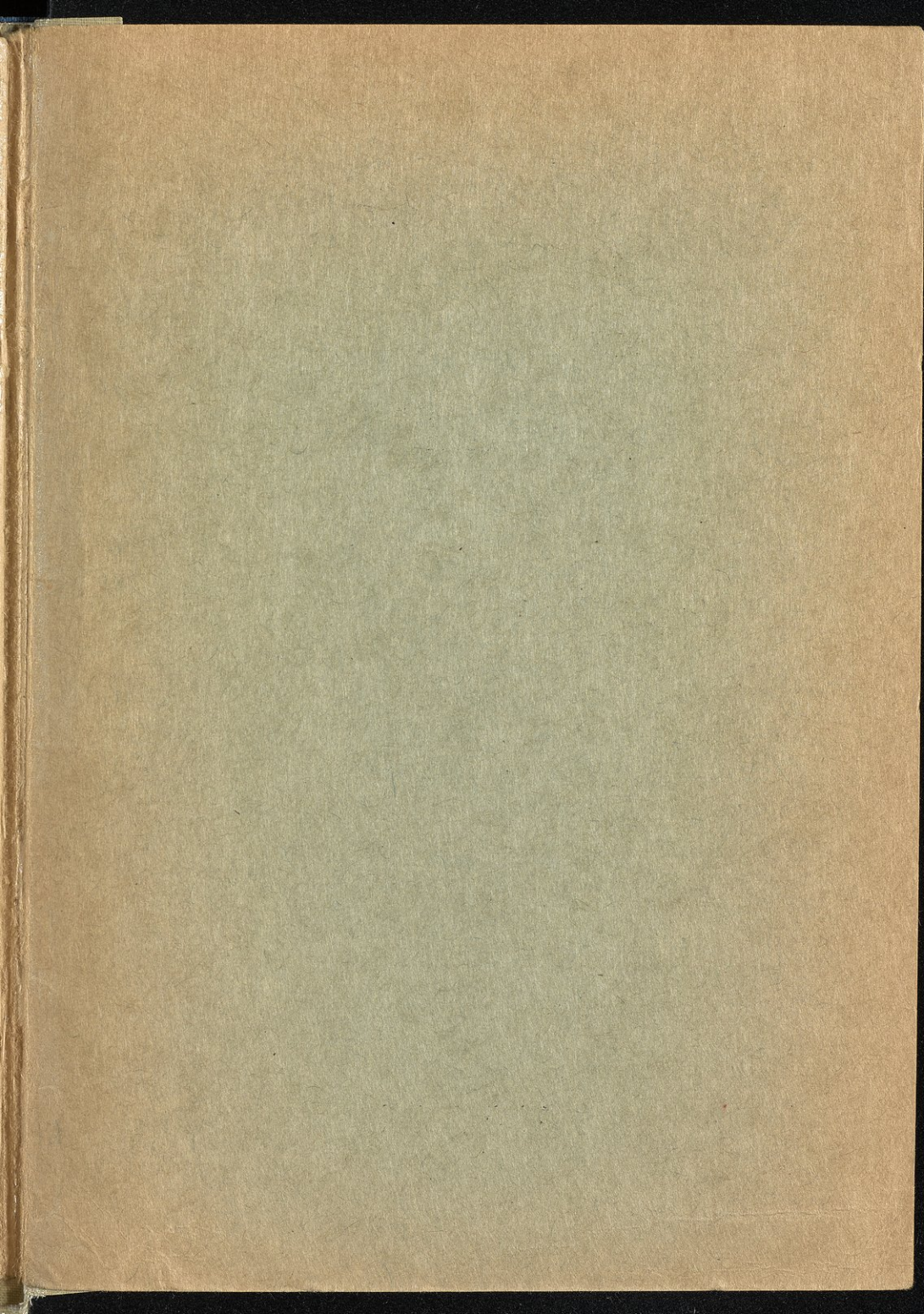
محمود خليفة و أحمد الشرباصي
المدرس في كلية الشريعة المدرس في الأزهر الشريف

[جميع الحقوق محفوظة]

١٩٥٠ م

طبعة مصر مركز تيسار مصر

N.Y.U. LIBRARIES



Ibn Rajab, 'Abd al-Rahmān ibn Ahmad

تحقيق كلمات الاخلاص

للمحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن المعروف بابن حبان الجنبلي

المتوفى ٧٩٥ هـ

Tahqiq Kalimat al-ikhlas

حققه وضبطه وعلق عليه

أحمد الشرباصي

المدرس في الأزهر الشريف

محمود خليف

المدرس في كلية الشريعة

[جميع الحقوق محفوظة]

م ١٩٥٠

طبعة مصرية

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

Near East

BP

134

.F₆

.I₃

1950

e-1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

الحمد لله كتب الخلود لدعوته ، وسجل البقاء لشريعته : « إنا نحن نزلنا
الذكر وإنا له لحافظون » ، سبحانه أنعم على الصفوة المختارة من عباده
وأوليائه بنعمة الهداية إلى طريقه ، والتذكير بدينه ، والتحريض على إخلاص
العبادة له ، وبذل النفس والنفيس في سبيله ؛ وصلاة وسلاما دائماً موصولين
على سراج الظلمة ، وكاشف الغمة ، ونبي الأمة ، وجامع الكلمة ، سيدنا
محمد عبد الله ورسوله ، الذي أوتى جوامع الكلم ، وأيد بالقول البليغ
والبيان السديد ، وعلى آله وصحابه ، وجنده وأتباعه الذائدين عن ملته ،
حتى يقوم الناس لرب العالمين ؛ وبعد ، فإن كتاب « تحقيق كلمة الإخلاص »
للإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي من نواذر الكتب ، فهو على صغر حجمه
جليل الأثر حميد الثمر ، من حقه أن يكون تحفة دينية يتهاداها أبناء الإسلام
ويحيلون فيها أبصارهم ، ويعملون في معانيها بصائرهم ؛ ولا غرو فقد بسط فيه
ابن رجب ما انطوت عليه كلمة الإخلاص وهي : « لا إله إلا الله ، محمد
رسول الله » من أبكار المعاني وأسرار الأفكار . .

ولما كان هذا الكتاب اللطيف عزيز المال غزير المنهل رأينا وفاء
 للسابقين ، وعملاً لتأييد كلمة الدين ، وتثقيفاً لجماعة المسلمين ، أن نُظهر هذا
 الكتاب ، بعد تحقيقه وضبطه ، والتعليق عليه ، والترجمة لرجاله ، وشرح
 ما يحتاج إلى شرح من ألفاظه وعباراته ، في طبعة جديدة ، لها رواؤها
 وبهاؤها ؛ سائلين الله تباركت أسماؤه ، وتتالت نعمائه ، أن يجعل هذا العمل
 خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعل مسيره بين الناس من علامات قبوله ،
 وأن يجزينا به خيراً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ،
 إنه سبحانه أكرم مسئول وأفضل مأمول ! ...

محمود خليفة — أحمد الشرباصي

القاهرة في { ربيع الثاني سنة ١٣٦٩ هـ
 فبراير سنة ١٩٥٠ م

التعريف بابن رجب

هو الإمام الحافظ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن ، ابن الإمام المقرئ المحدث شهاب الدين أحمد ، ابن الإمام المحدث أبي أحمد رجب ، وقد اشتهر بين العلماء والمؤرخين بابن رجب الحنبلي ، وهو العالم الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة الحجة الحنبلي المذهب ، يعبر عنه الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية بهذه العبارة : « وقال العلامة الحافظ زين العابدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن رجب الحنبلي الواعظ المحدث الفقيه البغدادي ثم الدمشقي ، أكثر الاشتغال بالحديث حتى مهر ، وشرح الترمذی والعلل له ، وقطعة من البخاري ، وله طبقات الحنابلة ، مات في رجب سنة خمس وتسعين وسبعمائة » . وهي كما ترى عبارة تدل على عظيم التقدير وظاهر الإجلال .

قدم ابن رجب من بغداد مع والده إلى دمشق وهو صغير ، سنة أربع وأربعين وسبعمائة ، وأجازه ابن النقيب والنووي ، وسمع بمكة على الفخر عثمان بن يوسف ، واشتغل بسماع الحديث برعاية والده وعنايته ، وسمع بمصر من صدر الدين أبي الفتح الميديمي ، ومن جماعة من أصحاب

ابن البخارى ، وكانت مجالس تذكيره للقلوب موقظة وصارعة ، وللناس عامة مباركة نافعة ، وقد اجتمعت الفرق فى زمانه عليه ، ومالت القلوب بالحجة والإعجاب إليه ؛ وله كثير من المؤلفات والمصنفات المفيدة ، وأغلبها فى سنة الرسول والذب عن الملة ، وقد طبع أكثر هذه المصنفات ونفذ ، لكثرة إقبال الناس عليها ، ومن هذه المؤلفات كتاب « نور الاقتباس » شرح فيه حديث وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنهما ، شرحاً يدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه وقوة تأثيره ؛ وكتاب « جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم » وهو كتاب يصلح فيه ابن رجب ويحول ، عارضاً بضاعته الثمينة الغالية التى تدل على طول بابه فى علم الحديث ، وإحاطته بأسرار السنة ، ودرايته بشمائل الرجال ودرجاتهم ؛ وكتاب « كشف الكربة بشرح حديث الغربة » وقد شرح فيه الحديث : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء » وكتاب « القواعد » فى أصول الفقه ، وهو من أمهات الكتب التى يرجع إليها علماء الفقه ، وكتاب « تحقيق كلمة الإخلاص » وهو الكتاب الذى بين يديك ، وغير ذلك كثير ، ما بين موجود ومفقود .

توفى ابن رجب رحمه الله بدمشق ليلة الاثنين لأربع خلون من رمضان ، ودفن هناك ، سنة خمس وتسعين وسبعائة ، أسبغ الله عليه سبحانه رحته ورضوانه ، ونفع المسلمين بكتبه وآثاره .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

أخرج البخارى ^(١) ومسلم ^(٢) فى الصحيحين

(١) هو الامام العسكر حبر الاسلام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة البخارى الجعفى صاحب الصحيح فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصاحب التصانيف الجليلة ، ولد ببخارى سنة أربع وتسعين ومائة . وارتحل فى طلب العلم ، وسمع من ألف شيخ ، وكان من أوعية العلم ، يتوقد ذكاء ، ولم يخلّف بعده مثله ، وعن أبى إسحق الرىحاني أن البخارى كان يقول : صنفت كتاب الصحيح بست عشرة سنة ، خرّجته من ستائة ألف حديث . وجعلته حجة فيما بينى وبين الله تعالى ؛ وقال مسلم للبخارى : لا يعيبك إلا حاسد ، وأشهد أن ليس فى الدنيا مثلك . وكان يقول : أرجو أن ألقى الله عز وجل ولا يحاسبنى أنى اغتبت أحدا . وكان لا يضع حديثاً فى كتابه الصحيح إلا ويصلى بعده ركعتين شكراً لله ؛ ثم جاء البخارى إلى خرّجته ، وهى قرية من قرى سمرقند ، على بعد فرسخين منها ، ونزل على أقرباء له بها ، ثم دعا بالليل فقال : اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضنى إليك . فأتى الشهر حتى قبضه الله عز وجل إليه ، وقبره بخرتك ، وتوفى ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين ، ومناقبه كثيرة .

(٢) هو أحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين أبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح وأحد أركان الحديث ، ولد سنة أربع ومائتين ، وجال لطلب العلم فى بلاد كثيرة ، وكان من الثقات =

عن أنس^(١) رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ راكباً ، ومعاذ^(٢) رديفه^(٣) على الرجل ، فقال : يامعاذ ! قال : لبيك يا رسول الله

= المأمونين ؛ قال : صفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة وقال الخطيب البغدادي : كان مسلم يناضل عن البخارى حتى أوحش ما بينه وبين محمد بن يحيى الذهلى بسببه . وكتابه الصحيح حسن الوضع قليل التكرار وبعضهم يفضلهُ على البخارى ، ولكن أهل الاتقان والتحري يرون البخارى أدق وأصح وأوسع فى صناعة الحديث ؛ وروى عن مسلم أنه كان صاحب تجارة بخان بخمس بنيسابور ، وكان له أملاك وثروة ، وتوفى رضى الله عنه سنة إحدى وستين ومائتين .

(١) هو الصحابي الجليل أبو حمزة أنس بن مالك الأنصارى البخارى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قدم إلى المدينة وهو ابن عشر سنين ، والتحق بخدمة الرسول ، ودعا له الرسول بكثرة المال والولد ، والبركة فيهما وفيما أوتى ، فدفن لصلبه إلى مقدم الحجاج البصرة مائة وعشرين ، وكان تخلد يثمر فى العام مرتين ، وتوفى رضى الله عنه سنة ثلاث وتسعين على الراجح ، وقيل سنة تسعين أو إحدى أو اثنتين وتسعين .

(٢) هو سلطان العلماء وأعلم الأمة بالحلال والحرام الصحابي الجليل معاذ بن جبل الأنصارى الخزرجي ، وقد ورد أن العلماء تأتى تحت رايته يوم القيامة ، وقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « إني أحبك يا معاذ » . وهو من فضلاء الصحابة وفقهائهم ، وهو ممن شهدوا بدرًا ، وحسبك بها منقبة ، وكان ممن جمع القرآن ، وقد أرسله الرسول والياً على جانب من اليمن سنة عشر ، وقيل إنه هو الذى بنى مسجد الجند باليمن ، وظل هناك حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد له الرسول بأنه أعلم أمته بالحلال والحرام ، وقال فيه حسب رواية الترمذى : « نعم الرجل معاذ بن جبل » . واستشهد رضى الله عنه فى طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشرة هجرية .

(٣) الرديف فى اللغة والردف المرتد والردافى كجبارى هو الراكب خلف الراكب ، وهو المناسب هنا ؛ والرديف أيضاً كل ما تبع شيئاً ، وجلس الملك عن يمينه يشرب بعده ، ويخلفه إذا غزا ؛ والموضع الذى يركب فيه الرديف يسمى الرِّداف بوزن الكتاب .

وَسَعْدِيكَ ! ^(١) قال : يا معاذ ! قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ! قال :
يا معاذ ! قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ! قال : ما مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ . قال :
يا رسول الله ، أَلَا أَخْبَرَهَا النَّاسَ ؟ قال : إِذَا يَتَكَلَّمُوا . فَأَخْبَرَهَا بِهَا مُعَاذٌ
عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِمًا .

وفي الصحيحين عن عَمَّتَيْهِ ابْنِ مَالِكٍ ^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قال : إِنْ اللَّهُ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ .
وفي صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ ^(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ —

(١) لبيك مأخوذ من لب بمعنى أقام ، والمعنى : أنا مقيم على طاعتك إلباباً
بعد إلباب ، أى إقامة بعد إقامة ، وإجابة بعد إجابة ، أو معناه : اتجأه إليك
وقصدى لك ، وذلك من قولهم : دارى تلب داره ، أى تواجهها ؛ أو معناه :
سجعتى لك ، من قولهم : امرأة لبة ، بوزن حبة ، أى محبة لزوجها ؛ أو معناه
إخلاصى لك . من قولهم : حَبَّ لِبَابِ أَى خَالِص . . . وسعديك : أى إسعاداً
لك بعد إسعاد ! . (وتَأْتِمًا) فى آخر الحديث أى : تخلصاً من الاثم .

(٢) هو الصحابى المشهور عَتَبَانُ (بكسر أوله وسكون التاء) ابن مالک
ابن عمرو العجلانى الأنصارى السامى ، روى طائفة من الأحاديث ، ومات
فى خلافة معاوية .

(٣) هو الصحابى المعروف أَبُو هُرَيْرَةَ عبد الرحمن بن صخر الدوسى ، كانت
له هرة صغيرة فكنوه بها ، وكان كثير العبادة والذكر حسن الأخلاق ،
وكان حافظ الصحابة وأكثرهم رواية زادت مروياته عن خمسة آلاف حديث وولاه
الرسول ذات مرة ولاية المدينة ، وكان فقيراً يخدم الناس قبل صحبته
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطنه ، وكان لا يسأل الناس شيئاً
رغم ذلك ؛ ورفع يوماً على جاريته سوطاً ثم قال : لولا خوف القصاص
لأوجعتك ، ولكن سأبيعك لمن يوفىنى ثمنك ، اذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى .
وكان يقول : المرض لا يدخله رياء ولا سمعة ، بل هو أجر محض ، ومع هذا =

أو أبي سعيد^(١) بالشك — أنهم كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك^(٢)

= كان في أبي هريرة دعاية ، كان أثناء الخلاف بين علي ومعاوية يصلي خلف علي ويأكل على سباط معاوية ويعتزل القتال ، ويقول : الصلاة خلف علي أتم ، وسباط معاوية أدم ، وترك القتال أسلم . . . أسلم عام خير سنة سبع ، وروى عنه أكثر من ثمانمائة رجل ، ولما حضرته الوفاة بكى فقيل له في ذلك فقال : أبكى علي بعد سفرى ، وقلة زادى ، وأنى أصبحت على مهبط جنة أو نار ، لا أدري أيهما يأخذ بي ؛ توفي في المدينة في خلافة معاوية سنة سبع وخمسين ، وله من العمر ثمان وسبعون سنة رضى الله عنه .

(١) هو الصحابي الجليل أبو سعيد سعيد بن مالك بن شيان الخدري الأنصاري ، وكان من أعيان الصحابة وفقهائهم ، شهد الخندق وبيعة الرضوان وغيرهما ، وروى طائفة من الأحاديث . روى عنه أنه قال : قتل أبي يوم أحد شهيداً ، وتركنا بغير مال ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله شيئاً . فلما رآني قال : من استغنى أغناه الله ، ومن يستغف أعفه الله . قلت : ما يريد غبري ، فرجعت . وروى أنه كان من حفاظ الحديث الكثيرين . وتوفي سنة أربع وسبعين للهجرة رضى الله عنه يوم الجمعة ودفن بالبقع . وإنما قال راوى الحديث « أو أبي سعيد » بصيغة الشك ، نشدة دقته ومبالغته في تحديد الرواية ، حتى لا يكون متهماً على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ذلك يتبين لك مقدار ما كان يحيط رواية الحديث من عناية وحفاظ .

(٢) كانت غزوة تبوك في شهر رجب سنة تسع ، وفيها توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزو الروم ، وكان ذلك في زمن عسرة من الناس ، وجذب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، فالتاس يحبون المقيم في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الانتقال ، وصرح الرسول بالخروج إليها على خلاف عادته ، ولذلك استبان بها الصادقون من المنافقين والمتخلفين ، ووقف فيها الصحابي أبو خيثمة موقفاً جميلاً تراه مذكوراً في كتب السيرة ، وكسب الاسلام والمسلمون في هذه الغزوة كثيراً ، وهى الغزوة التى تخلف بها متخلفون عامدون نفاقاً وخذلاناً للمسلمين ، وتخلف فيها متخلفون معذورون ، وكان فيها أيضاً موقف البكائين الذين لم يجدوا راحل للزوج ، ولذلك قال الرسول وهو عائد منها =

فأصابتهم مجاعة ، فدعا النبي ﷺ ينطع^(١) فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يحىء بكسرة ، وجعل الرجل يحىء بكف ذرة ، والرجل يحىء بكف تمر ، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ، ثم قال : خذوا في أوعيتكم ؛ فأخذوا في أوعيتهم ، حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤوه ، فأكلوا حتى شبعوا ، وفضل فضلة ، فقال رسول الله ﷺ : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما فيُحجب عن الجنة .

وفي الصحيحين عن أبي ذر^(٢) رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ما من عبد قال (لا إله إلا الله) ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت : وإن زنى ، وإن سرق ؟ ! . قال : وإن زنى وإن سرق . قلت : = لأصحابه : إن بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيرا ، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم قالوا : يا رسول الله ، وهم بالمدينة ؟ قال : نعم ، حبسهم العذر . وفيها أيضاً قصة الثلاثة الذين خلفوا وهم كعب بن مالك ومرار بن الربيع وهلال ابن أمية ، وقد أشار القرآن الكريم إلى قصبتهم في آخر سورة التوبة . (١) النطع بكسر النون وبالتحريك وكعنب بساط من الأديم أى الجلد وجهه أنطاغ ونطوع .

(٢) هو الصحابي الجليل ، والمسلم الصادق الاسلام واللسان أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر » وهو صاحب الدعوة الأولى إلى الاشتراكية الاسلامية ، وصاحب الحملة العنيفة المشهورة على أصحاب الأموال وكانزها ، فقد كان يعرض بهم ويحمل عليهم ، ويردّد في شأنهم قول الحق : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » ؛ وقصة إسلامه مشهورة =

وإن زنى وإن سرق؟! قال: وإن زنى وإن سرق! وقال فى الرابعة: وإن رَغِمَ^(١) أنفُ أبى ذر؛ فخرج أبو ذر وهو يقول: وإن رَغِمَ أنفُ أبى ذر! . وفى صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت^(٢) رضى الله عنه أنه قال عند موته: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلته ألقاها إلى مريم وروحُ منه، وأن الجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة، على ما كان عليه من العمل.

وفى المعنى أحاديث كثيرة يطول ذكرها.

وأحاديث هذا الباب نوعان:

(أحدها) ^(٣) مافيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة ولم يحجب

= المذكورة فى كتب السنة والسيرة، وقد كان رضى الله عنه زاهداً متقشفاً لسنأ. تعرض فى سبيل دعوته لمناعب، وضاق به عثمان رضى الله عنه فنفاه إلى الرَبْكَدَة وهى قرية قريبة من المدينة، فأت بها على قارعة الطريق بلا سَبَدٍ أولَسَدٍ، سنة ثنتين وثلاثين، ودفن بها، وكان يقول: لو أن صاحب المنزل يدعنا فيه للملأناه أمتعة، ولكنه يريد نقلتنا منه!... ولذلك كان لا يدخر فى بيته شيئاً رضى الله عنه وأرضاه!..

(١) الرغم بفتح الراء وسكون الغين الكره، ورغم أنف فلان الله تعالى أى ذل له عن كره، وحدث هذا رغم أنف فلان أى بدون رضاه.

(٢) هو الصحابى النقيب عبادة بن الصامت، شهد بدرأ وما بعدها، ووجهه عمر إلى الشام قاضياً ومعلماً، فأقام بجمص، ثم انتقل إلى فلسطين، ومات بها سنة خمس وثلاثين للهجرة، وقيل مات بالرملة، ودفن ببيت المقدس رضى الله عنه.

(٣) هكذا بالأصل الوحيد الذى بين أيدينا والصحيح لغة: أحدهما.

عنها ، وهذا ظاهر ؛ فإن النار لا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص ، وقد يدخل الجنة ولا يُحجَّبُ عنها إذا طُهرَ من ذنوبه بالنار .

وحديث أبي ذر معناه : أن الزنى والسرقة لا يمتنعان دخول الجنة مع التوحيد ، وهذا حق لا مرية فيه ؛ ليس فيه أن لا يعذب عليهما مع التوحيد . وفي مسند البزار عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً^(١) : من قال لا إله إلا الله نفعت يوماً من دهره يصيبه قبل ذلك ما أصابه .

(الثانى) : ما فيه أنه يحرم على النار ؛ وقد حمّله بعضهم على الخلود فيها ، أو على ما يخلد فيها أهلها ، وهى ما عدا الدرك الأعلى ، فإن الدرك الأعلى يدخله كثير من الموحدين^(٢) ؛ من عصاتهم بذنوبهم ، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين ، وبرحمة أرحم الراحمين .

وفي الصحيحين : أن الله تعالى يقول : وعزّتى وجلالى لأخرجنَّ من النار من قال لا إله إلا الله .

وقالت طائفة من العلماء : المراد من هذه الأحاديث أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ، ومقتضى لذلك ، ولكن المقتضى

(١) المرفوع : هو الحديث الذى أضيف إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) والذى عليه أكثر العلماء أن جهنم أعلى الدركات ، وهى مختصة بالعصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى التى تخلى من أهلها فتصفق الرياح أبوابها . ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم سعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية (من القرطبي . عند تفسير قوله تعالى : لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) .

لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه ، فقد يتخلف عنه مقتضاه
افوات شرط من شروطه ، أو لوجود مانع ؛ وهذا قول الحسن ^(١) ووهب

(١) هو الامام العلم أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري ، إمام أهل
البصرة ، وأفضل أهل زمانه ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وسمع خطبة
عثمان ، وأبوه كما في الشذرات مولى زيد بن ثابت ، وفي الطبقات : كان والده
من أهل ميسان فسمى فهو مولى الأنصار ؛ وأمه مولاة أم سلمة أم المؤمنين
وزوجة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان ربما أعطته أم سلمة ثديها في صغره تغله
به حتى تجي أمه فيدر عليه ؛ فيروون أن علمه وفصاحته وورعه من بركة ذلك ،
وكان جيلافصيحاً جامعاً عالماً رفيقاً فقيهاً حجة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم وسياً
ومن عطته لابن هبيرة والى يزيد على العراق : « يا ابن هبيرة ، خف الله
في يزيد ، ولا تخف يزيد في الله ، فإن الله يمنعك من يزيد ، ولا يمنعك يزيد
من الله ! . . ويوشك أن يبعث إليك ملكاً فيزيك عن سيرك ، ويخرجك من
سعة قصرك إلى ضيق قبرك ، ثم لا ينجيك إلا عملك ! . . يا ابن هبيرة ، إياك
أن تعصى الله فانما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله تعالى وعباده ،
فلا تترك دين الله وعباده لهذا السلطان ، فانه لاطاعة لخلق في معصية
الخالق » ! . وللحسن مع الحجاج مواقف مشهودة ، وقد جمع القرآن وهو ابن
اثنتي عشرة سنة ، ثم لم يخرج من سورة إلى غيرها حتى يعرف تأويلها ، وفيه
أنزلت ، ولم يأمر بشيء حتى فعله ، ولم ينه عن شيء حتى تركه . وقيل ليونس
ابن عبيد : أتعرف أحداً يعمل بعمل الحسن ؟ فقال : والله ما أعرف أحداً
يقول بقوله فكيف يعمل بعمله ؟ . ثم وصفه فقال : كان إذا أقبل فكأنه
أقبل من دفن حميمه ، وإذا جلس فكأنه أسير أمر بضرب عنقه ، وإذا ذكرت
النار فكأنها لم تخلق إلا له ! . وكان يقول رضى الله عنه : شر الناس للميت
أهله ، سيكون عليه ولا يهون عليهم قضاء دينه . ويقول : أدركنا أقواماً
كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم في حرم عليكم . وقيل له مرة : إن الفقهاء
يقولون كذا وكذا ، فقال : وهل رأيتم فقيهاً قط بأعينكم ؟ إنما الفقيه الزاهد
في الدنيا ، البصير بذنبه ، المداوم على عبادة ربه عز وجل . وعظاته وأقواله
الحكيمة كثيرة مؤثرة ، توفي رضى الله عنه سنة عشر ومائة .

ابن منبه^(١) ، وهو أظهر .

وقال الحسن للفرزدق^(٢) وهو يدفن امرأته : ما أعددت لهذا اليوم ؟ .

(١) هو أبو عبد الله وهب بن منبه الصنعاني من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن ، وولى القضاء لعمر بن عبد العزيز ، وكان شديد العناية بكتب الأولين وأخبار الأمم وقصصهم بحيث كان يشبه بكعب الأخبار في زمانه وله مصنف في ذكر ملوك هير ، وقال عنه الذهبي : وهب بن منبه ثقة مشهور ، قصاص خير ، ضعفه أبو حفص الفلاس وحده . ومن كلام وهب : كان الناس ورقا بلا شوك ، وأنتم اليوم شوك لا ورق فيه ، إن تركهم العبد وهرب تبعوه ! . وكان يقول : اتخذوا عند الفقراء يداً فإن لهم دولة يوم القيامة . وأتاه رجل فقال : إني مررت على فلان وهو يشتمك ، فغضب وذهب وقال : ما وجد الشيطان غيرك رسولاً ؟ . ثم إن ذلك الشاتم جاء فأجلسه إلى جنبه . وكان يقول : من كانت بطنه وادياً من الأودية كيف يصلح له الزهد في الدنيا ؟ . وتوفي وهب بصنعاء سنة أربع عشرة ومائة .

(٢) هو أبو الأخطل وأبو فراس الفرزدق همام بن غالب التميمي الدارمي المجاشعي من سرة قومه ، وأمّه ليلى بنت حابس ، وهو أفخر شعراء عصره وأجزله في المديح والمجاء ، ولد سنة ١٩ هـ ونشأ بالبصرة . ولم تشب لهجة عجمة ولا لحن ، فأخذه أبوه برواية الشعر ونظمه ، وأخذه أبوه يوماً إلى الامام علي وقال له : هذا ابني يوشك أن يكون شاعراً مجيداً . فقال علي : أقرئه القرآن فهو خير له ! . فما زالت تلك العبارة في نفس الفرزدق حتى قيّد نفسه ب قيد وأقسم ألا يفكه حتى يحفظ القرآن ، ووفى بعهده رغم أميته ، ولقد اجتمع الحسن البصري والفرزدق في جنازة نوار امرأت جري ، فقال له الفرزدق : أتدرى ما يقول الناس يا أبا سعيد ، يقولون اجتمع خير الناس وشر الناس . فقال الحسن : لست بخيرهم لست بشرهم ، ولكن ما أعددت لهذا اليوم ؟ فقال الفرزدق : شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة ، فقال الحسن : نعم — والله — العدة . وعن أبي عمرو بن العلاء قال : شهدت الفرزدق وهو يجود بنفسه فما رأيت أحسن ثقة بالله منه . . . وترجى له الزلفى والفائدة وعظيم العائدة بحبه لأهل البيت ؛ وقد عاش الفرزدق قريباً من مائة سنة ، وتوفي سنة عشر ومائة .

قال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة . قال الحسن : نعم العدة .
 لكن ل (لا إله إلا الله) شروطاً ، فإياك وقذف الحصنات ! .
 وقيل للحسن : إن ناساً يقولون : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ؛
 فقال : من قال لا إله إلا الله ، فأدى حقها وفرضها دخل الجنة .
 وقال وهب بن منبه لمن سأله : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال :
 بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتِحَ
 لك ، وإلا لم يُفتح لك .

وهذا الحديث : (أن مفتاح الجنة لا إله إلا الله) أخرجه الإمام أحمد
 بإسناد منقطع ^(١) عن معاذ قال : قال لي رسول الله ﷺ : إذا سألك أهل اليمن
 عن مفتاح الجنة قل : لا إله إلا الله . ويدل على هذا كون النبي ﷺ رتب
 دخول الجنة على الأعمال الصالحة في كثير من النصوص ، كما في الصحيحين
 عن أبي أيوب ^(٢) أن رجلاً قال : يا رسول الله ؛ أخبرني بعمل يُدخلني الجنة
 قال : تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة وتصل الرحم .
 وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله !

(١) المنقطع : هو ما سقط من رواته راو واحد قبل الصحابي في الموضع
 الواحد ، وكذا في موضعين فأكثر ، بحيث لا يزيد الساقط في كل منها على واحد .
 (٢) هو الصحابي الجليل أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري ، من السابقين
 إلى الاسلام ، ومن شهدوا العقبة ، ومناقبه كثيرة ، وموضع بيته بالمدينة هو
 المكان الذي نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة ، وفيه بركت
 ناقته ، ولذلك يوجد به موضع يقال له «المبرك» ، وهم يعنون ببرك الناقة ،
 وقد توفي أبو أيوب الأنصاري سنة إحدى وخمسين للهجرة أو ثنتين وخمسين ،
 والأول أرجح . وكانت وفاته بالقسطنطينية حينما كان مع أصحابه محاصرونها ، وقبره
 كما ذكر ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب تحت سورها يستسقى به ويتبرك .

دُلِّني على عمل إذا علمته دخلت الجنة . قال : تعبد الله لا تشرك به شيئاً ،
وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان . فقال
الرجل : والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا شيئاً ، ولا أنقص منه . فقال
النبي ﷺ : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا .

وفى المسند^(١) عن بشير بن الحصاصية^(٢) قال : أتيت النبي ﷺ لأبأيه
فاشترط على شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن أقيم
الصلاة ، وأن أؤتى الزكاة ، وأحج حجة الإسلام ، وأن أصوم رمضان ،
وأن أجاهد في سبيل الله . فقلت : يا رسول الله ، أما اثنتين فوالله ما أطيقهما :

(١) المسند هو المصدر الثابت والكتاب الجامع الذى جمع فيه الامام الجليل
أحمد بن حنبل أحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم ، وقد كان هذا
السفر العظيم على الرغم من جلالة قدره وقدر صاحبه غير مرتب على الطريقة
المعاصرة فوفق الله لترتيبه وشرحه والتذييل له الرجل التقى الصالح الشيخ
عبد الرحمن أحمد الساعاتى وطبعه طبعة أنيقة ، وهناك أيضاً طبعة حديثة أخذت
طريقها بتحقيق الحديث المفضل الشيخ أحمد شاكر .

(٢) هو بشير بن معبد بن شراحيل ، وكان اسمه فى الجاهلية نذيراً فهاجر
إلى النبي فسماه بشيراً وأنزله الصفة . وعن بشير قال : أتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فدعاني إلى الاسلام ثم قال لى : ما اسمك ؟ قلت : نذير . قال : بل أنت
بشير . قال : فأُنزلى الصفة ، فكان إذا أتته الهدية أشركنا فيها ، وإذا أتته صدقة
صرفها إلينا ، قال : فخرج ذات ليلة فتبعته فألقى البقيع فقال : السلام عليكم دار قوم
مؤمنين ، وإنا بكم لاحقون ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، لقد أصبتم خيراً بجيلا (عظيماً)
وسبقتم شراً طويلاً . ثم التفت إلى فقال : من هذا ؟ قال : فقلت : بشير . قال :
أما ترضى أن أخذ الله سمعك وقلبك وبصرك إلى الاسلام من ربيعة الفرس
الذين يزعمون أن لولاهم لانفكت الأرض بأهلها ، قلت : بلى يا رسول الله .
قال : ما جاء بك ؟ قلت : خفت أن تنكب ، أو يصيبك هامة من هوام الأرض ! .

الجهاد والصدقة . فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حرّرها ، وقال : فلا جهاد ولا صدقة ، فم تدخل الجنة إذأ ؟ . قلت : أبايعك ؛ فبايعته عليهن كلهن ؛ ففي الحديث أن الجهاد والصدقة شرط في دخول الجنة مع حصول التوحيد والصلاة والصيام والحج .

ونظير هذا أن النبي ﷺ قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ؛ ففهم عمر^(١) وجاعة من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع^(٢) من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك ، فتوقفوا

(١) هو أبو حفص أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب القرشي العدوي الخليفة الثاني من الخلفاء الراشدين ، ومضرب المثل في العدل والشدة في الحق والحرص على الدين والصدع بالصدق ، ويجمع نسبه مع الرسول في كعب . وهو أول من سمي بأمر المؤمنين ، وأول من وضع التاريخ الهجري ، ودوّن الدواوين ومصر الأمصار ونظم الدولة الإسلامية الواسعة ؛ وكان لا تأخذه في الله لومة لائم ، وصفاته ومناقبه أكثر من أن تذكر هنا ؛ وكان إذا وقع بالمسلمين أمر يكاد يهلك اهتماماً بأمرهم . وكان يأتي المجزرة ومعه الدرة فكل من رآه يشتري لحماً يومين متتابعين يضربه بالدرة ، ويقول له : هلا طويت بطنك لجارك وابن عمك ؟ . . . وكان إذا حصل بالناس هم يخلع ثيابه ويلبس ثوباً قصيراً لا يكاد يبلغ ركبتيه ، ثم يرفع صوته بالبكاء والاستغفار وعيناه تذرفان حتى يغشى عليه . وكان في آخر حياته يكثر من ترديد هذا الدعاء : اللهم كبرت سني ، وضعفت قوتي ، وقلت حيلتي ، وانتشرت رعيتي ، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط ، اللهم ارزقني الشهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك عليه الصلاة والسلام . واستمرت خلافته أكثر من عشر سنين ، ثم مات شهيداً ، طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة في ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، واستشهد وله ثلاث وستون سنة ، ودفن مع صاحبيه بأذن عائشة وسيرته مبسطة مشهورة

(٢) أى بسعد وصين وحفظ .

في قتال مانعي الزكاة ، وفهم الصديق رضى الله عنه أنه لا يمتنع قتاله إلا بأداء حقوقها لقوله ﷺ : فإذا فعلوا ذلك منعوا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقوقها وحسابهم على الله ؛ وقال ^(١) : الزكاة حق المال .

وهذا الذى فهمه الصديق رضى الله عنه قد رواه عن النبي ﷺ صريحاً غير واحد من الصحابة منهم ابن عمر ^(٢) وأنس وغيرهما رضى الله عنهم ، (وأنه قال) : أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ . وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ؛ وَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ » الْآيَةُ ^(٣) . وَلَا تَثْبِتْ إِلَّا بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ مَعَ التَّوْحِيدِ .

(١) أى أبو بكر .

(٢) هو السيد الجليل الفقيه العابد الزاهد أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى ، كان من زهاد الصحابة ، وأكثرهم اتباعاً للسنن وأبعدهم عن الفتن ، وتم له ذلك الابتعاد إلى أن مات ، قيل : ويروى أن الرسول قال فيه : « نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل » . فكان بعد ذلك لا يرقد من الليل إلا قليلاً ، وقيل إنه اعتمر قريباً من ألف عمرة ، وقال مالك : بلغ ابن عمر ستاً وثمانين سنة ألقى في ستين منها ، وروى أنه لم يضع لبنة على لبنة ولا غرس شجرة منذ مات النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول : يا ابن آدم ، صاحب الدنيا بيدك وفارقها بقلبك وتمتك . ويقول لا يكون الرجل من أهل العلم حتى لا يحسد من فوقه ، ولا يحقر من تحته . ولا يبتغى بالعلم ثمناً . وتوفى رضى الله عنه في سنة أربع وسبعين ، وعند موته أمر أن يدفنه ليلاً ، ولا يعلموا الحجاج لئلا يصلى عليه ، ودفن في « ذات أذاخر » وهى قرية فوق قرية « العابدة » . وقيل : بل دفن في الجبل الذى فوق البستان على يمين الخارج من مكة إلى الحصب .

(٣) سورة التوبة ، آية ١١ - وتامها : « فإخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون » .

ولما قرر أبو بكر رضى الله عنه هذا للصحابة رجعوا إلى قوله ،
ورأوه صواباً ، فإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عن أدى الشهادتين مطلقاً
بل يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام فكذلك عقوبة الآخرة .
وقد ذهب طائفة إلى أن هذه الأحاديث المذكورة أولاً وما فى معناها
كانت قبل نزول الفرائض والحدود ، منهم الزهرى ^(١) والثورى ^(٢) وغيرهما ،

(١) هو الامام أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن شهاب الزهرى المدنى ،
أحد الفقهاء السبعة ، وأحد الأعلام المشهورين ، سمع من خلق كثير ، وله
نحو ألفى حديث ، وقال فيه عمر بن عبد العزيز : لم يبق أعلم بسنة ماضية من
الزهرى . وقال الزهرى عن نفسه : ما استودعت قلبى علماً فنسيته . وكان
معظماً وافر الحرمة عند هشام بن عبد الملك ، أعطاه مرة سبعة آلاف دينار ؛
وقال عمرو بن دينار : ما رأيت الدينار والدرهم عند أحد أهون منهما عند الزهرى ،
كانها بمنزلة البعر ، ورأى عشرة من الصحابة رضى الله عنهم ، وكان إذا
أقبل على كتبه لم يلتفت إلى شىء ، فقالت له امرأته : والله إن هذه الكتب
أشد على من ثلاث ضرائر . وقال ابن تيمية : حفظ الزهرى الإسلام نحواً من
سبعين سنة ، ومات رضى الله عنه سنة أربع وعشرين ومائة ، وعمره أربع وسبعون
سنة ، ودفن بموضع هو آخر أعمال الحجاز وأول عمل فلسطين ، وبه ضيعة ، وجعل
فبره على قارعة الطريق لير مار فيدعو له ، كما يقول صاحب الشذرات .

(٢) هو الامام الفقيه العلم أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثورى ، سيد
أهل زمانه علماً وعملاً ، ولد رضى الله عنه سنة سبع وتسعين ، وخرج من الكوفة
إلى البصرة سنة خمس وخمسين ومائة ، وكانوا يسمونه أمير المؤمنين فى الحديث ،
وروى عن خلق كثير ، وقال ابن المبارك : كتبت عن ألف شيخ ومائة شيخ
ما فيهم أفضل من سفيان ؛ وقال ابن حنبل : لا يتقدم على سفيان فى قلبى أحد .
وشهد له بالفضل كثير من الأقطاب ، وقال سفيان : ما استودعت قلبى شيئاً
قط فخاننى ؛ وكان سفيان كثير النقد للمنصور بسبب ظلمه حتى همَّ بقتله =

وهذا بعيد جداً ، فإن كثيراً منها كانت بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود ، وفي بعضها أنه كان في غزوة تبوك وهي في آخر حياة النبي ﷺ ؛ وهؤلاء منهم من يقول هذه الأحاديث منسوخة ، ومنهم من يقول هي محكمة ولكن ضم إليها شرائط ، وبلغت هذا إلى أن زيادة النص : هل هي نسخ أم ^(١) لا ، والخلاف في ذلك بين الأصوليين مشهور ، وقد صرح الثوري بأنها منسوخة ، وأنه نسخها الفرائض والحدود ، وقد يكون مرادهم بالنسخ البيان والإيضاح ، فإن السلف كانوا يطلقون النسخ على مثل ذلك كثيراً ، ويكون مرادهم أن

= ولكن الله لم يمهله ؛ ودخل سفيان على المهدي فسلم عليه تسليم العامة ، فأقبل عليه المهدي بوجه طلق وقال : تفر ههنا وههنا ، أظن أن لو أردناك بسوء لم نقدر عليك ؛ فما عسى أن نحكم الآن فيك ؟ فقال سفيان : إن تحكم الآن فيَّ يحكم فيك ملك قادر عادل يفرق بين الحق والباطل ! . فقال الربيع مولى المهدي : ألهذا الجاهل أن يستقبلك بهذا ؟ إذن لي في ضرب عنقه . فقال المهدي : وبلك ! اسكت ، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن تقتلهم فتشقى بسعادتهم ؟ . وولاه المهدي قضاء الكوفة فرفض ، وألقى بخطاب التولية في نهر دجلة وهرب ، فقال فيه الشاعر :

تحرز سفيان ففر بدينه وأمسى شريك مرصدا للدرهم
وله عظات وأقوال بليغة مؤثرة ، وقد مات رضى الله عنه بالبصرة متوارياً
سنة إحدى وستين ومائة ، ومناقبه تحتل مجلدات ، وراه بعضهم بعد موته
في النوم فسأله عن حاله فقال :

نظرت إلى ربي عياناً فقال لي :
لقد كنت قوَّاماً إذا أظلم الدجى
فدونك فاختر أى قصد أردتـه
هنيئاً رضائى عنك يا ابن سعيد
بعبرة مشتاق وقلب عميد
وزنى فإني منك غير بعيد !
(١) الأفسح هو : « أو لا » .

آيات الفرائض والحدود تبين بها توقف دخول الجنة والنجاة من النار على فعل الفرائض واجتناب المحرم ، فصارت النصوص منسوخة ، أى مبيّنة مفسّرة ، ونصوص الحدود والفرائض ناسخة أى مفسّرة لمعنى تلك موثقة لها . وقالت طائفة : تلك النصوص المطلقة قد جاءت مقيّدة فى أحاديث آخر ، فى بعضها : من قال لا إله إلا الله مخلصاً ، وفى بعضها : مستيقناً ، وفى بعضها : مصداقاً بها قلبه ولسانه ، وفى بعضها : يقولها من قلبه ، وفى بعضها قد ذل بها لسانه واطمأن بها قلبه ، وهذا كله إشارة إلى عمل القلب ، وتحقيقه بمعنى الشهادتين ، فتحققه بمعنى شهادة أن لا إله إلا الله أن لا ياله ^(١) قلبه غير الله حباً ورجاء ، وخوفاً وطمعاً ، وتوكلاً واستعانة ، وخضوعاً وإناية ، وطلباً ؛ وتحقيقه بأن محمداً رسول الله ألا يعبد الله بغير ما شرعه على لسان نبيه محمد ﷺ ؛ وهذا المعنى جاء مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال : من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة . قيل : ما إخلاصها يا رسول الله ؟ . قال : أن تحجزك عما حرم الله عليك . وهذا يروى من حديث أنس بن مالك وزيد ^(٢) بن أرقم ، ولكن إسنادها لا يصح .

(١) فى المصباح : أله ياله من باب تعب إلهة بمعنى عبد عبادة ؛ وفى القاموس : أله كفتح إلهة وألوهة وألوهية عبد عبادة ، ومنه لفظ الجلالة ، وأله إليه كفرح فزع ولاذ .

(٢) هو الصحابي الجليل زيد بن أرقم الأنصاري السابق إلى الإسلام وهو غلام ، والذي شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة ، =

وجاء أيضا من مراسيل^(١) الحسن نحوه .

وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد : (لا إله إلا الله) يقتضى أن لا إله غير الله ، والإله الذى يطاع ولا يعصى هيبه له وإجلالا ، ومحبة وخوفاً ورجاء ، وتوكلا عليه وسؤالا منه ودعاء له ، ولا يصلح ذلك كله لغير الله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقاً فى شيء من هذه الأمور التى هى من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً فى إخلاصه فى قوله : لا إله إلا الله ، ونقصاً فى توحيده ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك ، ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصى التى منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه ، أو التوكل عليه أو العمل لأجله ، كما ورد إطلاق الشرك على الرياء ، وعلى الحلف بغير الله ، وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه ، وعلى من سوّى بين الله وبين المخلوق فى المشيئة ، مثلاً : أن يقول ما شاء الله وشاء فلان ، وكذا

= وهو الذى سمع فى غزوة بنى المصطلق (وهى غزوة المريسيع) رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول يتطاول على مقام الرسول ويقول عنه : والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ؛ فأبى زيد وهو غلام يومئذ هذا الحديث إلى الرسول ، وتنصل منه قائله انذليل ، ووجد من يعاونه على تكذيب زيد ، ونسيته إلى الوهم ؛ وزيد الصادق الأمين ، وتلبّث النبي فنزل الوحي بتصديق زيد ، ودمغ المنافقين بالذلة والتحقير ، فأخذ الرسول بأذن زيد بن أرقم ثم قال : هذا الذى أوفى الله بأذنه ! . . . وقد توفى زيد بن أرقم رضى الله عنه سنة ست وستين ، وقيل سنة ثمان وستين .

(١) الرسل : ما سقط منه الصحابي .

قوله : مالى إلا الله وأنت ؛ وكذلك ما يقدر فى التوحيد وتفرّد الله بالنفع والضرر كالطيرة والرّقى المكروهة ، وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون ، وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قاذحٌ فى تمام التوحيد وكماله ، ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التى منشؤها من هوى النفس أنها كفر وشرك ؛ كقتال المسلم ، ومن أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها ، ومن شرب الخمر فى المرة الرابعة ، وإن كان ذلك لا يخرجّه من الملة بالكلية ، ولهذا قال السلف : كفّر دون كفر ، وشرك دون شرك .

وقد ورد إطلاق الإله على الهوى المتبع ، قال تعالى : «أرأيت من اتخذ إلهه هواه»؟ قال الحسن : هو الذى لا يهوى شيئاً إلا ركبه . وقال قتادة^(١) : هو الذى كلما هوى شيئاً ركبه ، وكلما اشتهى شيئاً أتاه ، لا يحجزه عن ذلك ورع . ورؤى من حديث أبى أمامة^(٢) مرفوعاً بإسناد ضعيف : مات تحت

(١) هو الحافظ الضريّر الأكمه مفسر الكتاب أبو الخطاب قتادة بن دغامة السدوسى ، عالم أهل البصرة فى زمنه ، كان آية فى الحفظ ؛ إماماً فى النسب ، رأساً فى العربية واللغة وأيام العرب ، ومن قوله عن نفسه : ما قلت لمحدث قط أعد على ، وما سمعت شيئاً إلا وعاء قلى . وقال فيه شيخه ابن سيرين : قتادة أحفظ الناس . وقال معمر : سمعت قتادة يقول : ما فى القرآن آية إلا وسمعت فيها شيئاً . وقد مات بمدينة واسط فى الطاعون سنة سبع عشرة ومائة ، وقيل سنة ثمان عشرة ومائة .

(٢) هو الصحابى الجليل أبو أمامة صدى بن عجلان الباهلى رضى الله عنه ، وهو نزيل حمص ، وقد قال : كنت يوم حجة الوداع ابن ثلاثين سنة ، وقد توفى سنة ست وثمانين ، فيكون عمره مائة وست سنين ، لأن حجة الوداع كما هو معروف كانت فى السنة العاشرة .

ظل السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع . وفي حديث آخر : لا تزال
 لا إله إلا الله تدفع عن أصحابها حتى يؤثروا دنياهم على دينهم ، فإذا فعلوا ذلك
 رُدَّت عليهم ، ويقال لهم : كذبتُم . ويشهد لهذا الحديثُ الصحيح عن
 النبي ﷺ : تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ ، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهِمِ ، تَعَسَّ عَبْدُ الْقُطَيْفَةِ ،
 تَعَسَّ عَبْدُ الْحَمِيصَةِ ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ ^(١) . فدل هذا
 على أن من أحب شيئاً وأطاعه ، وكان من غاية قصده ومطلوبه ، ووالى
 لأجله ، وعادى لأجله ، فهو عبده ، وكان ذلك الشيء معبوده وإلهه .

ويدل عليه أيضاً أن الله تعالى سَمَّى طاعة الشيطان في معصيته عبادةً
 للشيطان ، كما قال تعالى : « أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ
 إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ » ^(٢) وقال تعالى حاكياً عن خليله إبراهيم عليه السلام
 لأبيه : « يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا » ^(٣) . فمن
 لم يتحقق بعبودية الرحمن وطاعته فإنه يعبد الشيطان بطاعته ، ولم يخلص
 من عبادة الشيطان إلا من أخلص عبودية الرحمن ، وهم الذين قال فيهم :

(١) تعس : أى هلك ، والمقصود من العبودية هنا الاهتمام بالشئ والتفرغ
 له والاعتزاز به . والقטיפه : دثار له خَمَلٌ . والحَمِيصه : كساء أسود مربع .
 وانتكس : وقع على رأسه . وإذا شيك فلا انتقش : أى إذا أصابته شوكة
 فلا خرجت منه ، وهذا دعاء عليه بما يسوء .

(٢) سورة يس ، آية ٦٠ .

(٣) سورة مريم ، آية ٤٤ .

« إن عبادى ليس لك عليهم سلطان »^(١). فهم الذين حققوا قول: « لا إله إلا الله » ، وأخلصوا فى قولها ، وصدقوا قولهم بفعلهم ، فلم يلتفتوا إلى غير الله محبةً ورجاءً وخشية وطاعة وتوكلاً ، وهم الذين صدقوا فى قول: « لا إله إلا الله » وهم عباد الله حقاً ؛ فأما من قال : « لا إله إلا الله » بلسانه ، ثم أطاع الشيطان وهواه فى معصية الله ومخالفته فقد كذب قوله وفعله ، ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله فى طاعة الشيطان والهوى ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ؟ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله . فيا هذا ! كن عبداً لله لا عبداً للهوى ، فإن الهوى يهوى بصاحبه فى النار : « أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » ! تعس عبد الدرهم ! تعس عبد الدينار ! . والله لا ينجو غداً من عذاب الله إلا من حقق عبودية الله وحده ، ولم يلتفت إلى شىء من الأغيار^(٢) . من علم أن إلهه ومعبوده فرد فليُفَرِّده بالعبودية ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً .

كان بعض العارفين يتكلم على أصحابه ، على رأس جبل ، فقال فى كلامه : لا ينال أحد مراده حتى ينفرد فرداً لفرد ؛ فانزعج واضطرب ، حتى رأى أصحابه أن الصخور قد تدكدكت ، وبقي على ذلك ساعات ، فلما أفاق فكأنما نُشِر من قبره .

(١) سورة الحجر ، آية ٤٢ - وتماها : « إلا من اتبعك من الغاوين » .

(٢) الأغيار . جمع غير ، وهو ما سوى الله تعالى ، وهذا من شائع تعبيرات الصوفية .

قوله : « لا إله إلا الله » يقتضى أن لا يحب سواه، فإن الإله هو الذى يطاع ، فلا يعصى محبة له وخوفاً ورجاء ، ومن تمام محبته محبة ما يحبه وكرهه ما يكرهه ، فمن أحب شيئاً مما يكرهه الله ، أو كره شيئاً مما يحبه الله لم يكمل توحيدَه وصدقَه فى قوله لا إله إلا الله ، وكان فيه من الشرك الخفى بحسب ما كرهه مما أحبه الله ، وما أحبه مما يكرهه الله . قال تعالى : « ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم »^(١).

قال الليث^(٢) عن مجاهد^(٣) فى قوله تعالى :

(١) سورة محمد ، آية ٢٨ .

(٢) هو شيخ الديار المصرية وعالمها أبو الحارث الليث بن سعد الفهمى المصرى ، أحد الأعلام ، ولد بقرية قرقشندة بمصر سنة أربع وستين ، روى عن الكثير ، وروى عنه الكثير ، وكان ثقة كثير الحديث صحيحه ، واشتغل بالفتوى فى زمانه بمصر ، وكان ثوريا نبيلاً سخيلاً له ضيافة . وقال يحيى بن بكير : ما رأيت أحداً أكمل من الليث ، كان فقيه النفس ، عربى اللسان ، يحسن القرآن والنحو ، ويحفظ الحديث والشعر ، حسن المذاكرة . وقال الشافعى : كان الليث أققه من مالك إلا أنه ضيعه أصحابه . وكان نائباً مضر وقاضياً تحت أوامر الليث ، وإذا رابه من أحد شئ كاتب فيه فيعزل ، وقد أراد المنصور أن يلى إمارة مصر فأبى وتولى قضاءها ، وأهدى إليه الامام مالك صينية مملوءة رطباً فردها اليه مملوءة ذهباً . . . وكان لا يتغذى حتى يطعم ثلاثمائة وستين مسكيناً . توفى رضى الله عنه يوم الجمعة رابع عشر شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ، وله ضريح بالقاهرة يزار ، ومسجد باسمه .

(٣) هو الامام أبو الحجاج مجاهد بن جبر ، وفى الطبقات ابن حنين ، الخبر النكى ، الذى قال فيه خفيف : كان أعلمهم بالتفسير . والذى حدث عن نفسه فقال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة . وقال له ابن عمر : وددت أن نافعاً يحفظ حفظك ! . وقال سلمة بن كهيل : ما رأيت أحداً أراد بهذا العلم وجه الله تعالى إلا عطاء وطاؤوساً ومجاهداً . وقال الأعمش : كنت إذا =

« لا يشركون بي شيئاً »^(١) قال : لا يحبون غيري .

وفي صحيح الحاكم^(٢) عن عائشة^(٣) رضى الله عنها عن النبي ﷺ

= رأيت مجاهداً تراه مغموماً؛ فقيل له في ذلك فقال: أخذ عبد الله يعني ابن عمر بيدي ثم قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي وقال لى : « يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » . ومن كلام مجاهد : لا يكون الرجل من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً . ويقول : ليس أحد إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم . ويقول : يؤمر بالعبد إلى النار فيقول : يارب ، ما كان هذا ظنى بك ، وأنت أعلم ؛ فيقول الله عز وجل وهو أعلم : ما كان ظنك بي ؟ . فيقول : أن تغفر لى فيقول الله تعالى : خلوا سبيله . وكان يقول : ليكن آخر كلام أحدكم عند منامه « لا إله إلا الله » فأبها وفاة لا يدري لعلها تكون منية . مات رضى الله عنه بمكة وهو ساجد ، سنة ثلاث ومائة كما في الشذرات . وفي الطبقات : سنة ثنتين ومائة ، وعمره كما فيهما ثلاث وثمانون سنة .

(١) سورة النور ، آية ٥٥ — والآية بتمامها : « وعد الله الذين آمنوا سنمك وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

(٢) هو الامام الحاكم أبو عبد الله النيسابورى البيهقى المتوفى سنة خمس وأربعمائة ، وقد قال عنه ابن خلدون : « وقد ألف الناس في علوم الحديث وأكثروا ومن فحول علمائه وأئمنه أبو عبد الله الحاكم ، وتآليفه فيه مشهورة ، وهو الذى هذبه ، وأظهر محاسنه » .

(٣) هى أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق ، الحميراء حبيبة الرسول ، التقية النقية ، المبرأة من فوق سبع سموات ، الخلدلة طهارتها وبراعتها فى التنزيل : عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، وحسبها شرفاً حب الرسول لها =

قال : الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب الذرّة على الصفا في الليلة الظلماء ،
وأدناه أن تحب على شيء من العدل ، وهل الدين إلا الحب والبغض ؟ قال
الله عز وجل : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » ^(١) . وهذا نص
في أن محبة ما يكرهه الله وبغض ما يحبه الله متابعة للهوى ، والموالاته على
ذلك والمعاداة عليه من الشرك الخفى .

وقال الحسن : اعلم أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته ! .

= وإظهار ميله إليها . ونزول القرآن في التنويه بقدرها بعد تبرئتها ، ونزول
الوحي في بيتها والرسول في لحافها ، ولم يتزوج بكرّاً سواها . تزوجها بمكة
وهي بنت ست ، وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع ، وتوفى الرسول وهي بنت
ثمان عشرة سنة ، وتوفيت عن خمس وستين سنة ، سنة سبع وخمسين ، وقيل
سنة ثمان وخمسين ، وقيل إنه مما روى عن الرسول في شأنها قوله : « خذوا
نصف دينكم عن هذه الحميراء » وفي الحديث كلام ، وكانت من أكثر الصحابة
حفظاً وفتياً . وكان الكثيرون من أعلام الأمة يرجعون إليها مستشيرين
مستفتين . وكانت فقيهة عالمة فصيحة كثيرة الحديث عن الرسول ، عارفة بأيام
العرب وأشعارها ، زاهدة كثيرة الكرم والصدقة ، روى عنها كثير من
الصحابة والتابعين ، وقد عين الواقدي ليلة وفاتها فقال : إنها ليلة الثلاثاء
لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين ، ودفنت حسب وصيتها
بالبقيع ليلاً .

(١) سورة آل عمران ، آية ٣١ - وتامها : « ويغفر لكم ذنوبكم والله
غفور رحيم » .

سئل ذو النون المصرى ^(١) : متى أحبُّ ربى ؟ قال : إذا كان ما يبغضه
عندك أمراً من الصبر ! .

وقال بشر ^(٢) : ليس من أعلام المحبة أن تحب ما يبغض حبيبك ! .

(١) هو الامام الصوفى المشهور أبو الفيض ذو النون ثوبان بن إبراهيم
المصرى ، وكان أبوه نوبيا ، وكان رضى الله عنه رجلاً نحيفاً تعلوه حمرة ، وليس
بأبيض اللحية ، ومن كلامه : يامعشر المريدين ، من أراد منكم الطريق فيلحق
العلماء بإظهار الجهل ، والزهاد بإظهار الرغبة ، والعارفين بالصمت . وسئل
رضى الله عنه عن السفلة من الخلق : من هم ؟ فقال : من لا يعرف الطريق
إلى الله ولا يتعرفه . وكان يقول : سيأتى على الناس زمان تكون الدولة فيه
للحمقى على الأكياس . ومناقبه مشهورة وعظاته وكلماته الحكيمة مستفيضة ،
وقد توفى سنة خمس وأربعين ومائتين ، ولما توفى رضى الله عنه بالحيزة هل
فى قارب مخافة أن يقع الجسر من كثرة الناس فى جنازته . قيل : ورأى الناس
طيوراً خضراً ترفرف على جنازته حتى وصلت إلى قبره .

(٢) هو الصوفى المعروف أبو نصر بشر بن الحارث الحافى ، أصله من
مرو وسكن بغداد ، وصحب الفضيل بن عياض ، وكان عالماً ورعاً كبير الشأن ،
أوحد وقته علماً وحالا ، وكان يقول : سيأتى على الناس زمان تكون الدولة
فيه للحمقى والأراذل على أهل العقول والأكابر . ويقول : حسبك أقوام تحيا
القلوب بذكرهم ، وأن أقواماً أحياء تقسو القلوب برؤيتهم . وسئل : لم لا تتزوج
وتخرج عن مخالفة السنة ؟ فأجاب : إني مشغول بالفرض عن السنة . يعنى
بالفرض مجاهدة النفس وتصفيتها من الأخلاق الرديئة . وكان يقول :
صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ؛ وإن الله عز وجل لا يسأل عبداً قط
لم حسنت ظنك بعبادى . وكان فى مرض موته يدعو ربه فيقول : إلهى رفعتنى
فوق قدرى ، ونوهت باسمى ، وشهرتني بين الناس ، فأسألك بوجهك الكريم
ألا تفضيخنى غداً يوم القيامة . توفى رضى الله عنه ببغداد عاشر المحرم سنة
سبع وعشرين ومائتين .

وقال أبو يعقوب النهرجوري^(١) : كل من ادعى محبة الله ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة .

وقال يحيى بن معاذ^(٢) : ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده .

(١) هو أبو يعقوب إسحق بن محمد النهرجوري ، أقام مجاوراً بالحرم سنين كثيرة ، وصحب الجنيد ، وعمر بن عثمان المكي ، وأبا يعقوب السوسي وغيرهم وكان يقول في معنى قولهم (احتسوا من الناس بسوء الظن) : أى سوء الظن بأنفسكم لا بالناس ! . وكان يقول : طلب أهل الله الحقائق فسادوا الخلائق . وسئل عن الطريق إلى الله فقال للسائل : اجتنب الجهلاء ، واصحب العلماء ، واستعمل العلم ، وداوم الذكر ، وأنت إذا من أهل الطريق . توفي سنة ثلاثين وثلاثمائة ، رضى الله عنه .

(٢) هو الامام الصوفي أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الواعظ الرازي ، كان أوحده وقته في زمانه ، وله لسان وكلام في المعرفة ، أقام ببلخ مدة ثم عاد إلى نيسابور . ومن كلامه : كيف يكون زاهداً من لا ورع له ، تورع عما ليس لك ، ثم ازهد فيما لك . ويقول : لا يزال دين العبد متمزقاً مادام قلبه بحب الدنيا متعلقاً . ويقول : بئس الأخ أخ تحتاج أن تقول له : ادع لي ، وبئس الأخ أخ تحتاج أن تعتذر إليه عند زلتك . ويقول : إياكم والركون إلى دار الدنيا فانها دار ممر لا دار مقر ، الزاد منها والمقيل في غيرها . ويقول : طلب الزهد فراراً من مشقة الأعمال الشاقة بطالة ، ولبس الصوف من غير إماتة النفس جهالة ، وترك المكاسب مع الحاجة إليها كسل ، والكسل مع وجود الاستغناء عنه كلفة ، والصبر على العزلة علامة وجود الطريق ، والتعبد مع تضييع العيال جهل ! . توفي بنيسابور سنة ثمان وخمسين ومائتين . رضى الله عنه .

وقال رويم^(١) : المحبة الموافقة في جميع الأحوال ، وأنشد يقول :
ولو قال لي : مت ، مت سمعاً وطاعة وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحباً^(٢)
ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله »^(٣) .

وقال الحسن : قال أصحاب رسول الله ﷺ : إنا نحب ربنا حباً
شديداً ؛ فأحبَّ الله أن يجعل لحبه علماً فأنزل هذه الآية .

ومن هنا يُعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمداً
رسول الله ، فإذا علم أنه لا تتم محبة الله إلا بمحبة ما يحبه وكرهه ما يكرهه ،
فلا طريق إلى معرفة ما يحبه ويكرهه إلا باتباع ما أمر به ، واجتناب ما نهى

(١) هو أبو محمد رويم بن أحمد ، بغدادى الأصل ، من جملة مشايخ بغداد ،
وكان فقيهاً على مذهب داود الأصفهاني ؛ ومن كلامه : من حكمة الحكيم أن
يوسع على إخوانه في الأحكام ، ويضيق على نفسه فيها ، فان التوسعة عليهم
اتباع للعلم ، والتضييق على نفسه من حكم الورع ! . ويقول : من قعد مع
القوم (يعنى الصوفية) وخالنهم في شيء مما يتحققون به نزع الله نور الايمان
من قلبه . وتوفى سنة ثلاث وثلاثمائة ، ودفن بالشونيزية في بغداد ، رضى
الله عنه .

(٢) الذى فى كتاب الطبقات للشعرانى نصه : « وسئل رضى الله عنه
عن المحبة ، فقال : هى الموافقة فى جميع الأحوال ، وأنشد :

ولو قيل لى : مت° ، قلت : سمعاً وطاعة وقلت لداعى الموت : أهلاً ومرحباً .

(٣) سورة آل عمران ، آية ٣١ - وتتمامها : « ويغفر لكم ذنوبكم والله
غفور رحيم » .

عنه ، فصارت محبته مستلزِمة لحبة رسوله ﷺ وتصديقهِ ومتابعته ، ولهذا
 قرَنَ الله محبته ومحبة رسوله ﷺ في قوله تعالى : « قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ
 وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ » إلى قوله : « أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ »^(١) . كما قرن
 طاعته وطاعة رسوله ﷺ في مواضع كثيرة^(٢) .

وقال ﷺ : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون
 الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب الرجل لا يحبه إلا الله ، وأن
 يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النار .
 وهذه حال السحرة لما سكنت الحبة في قلوبهم سمحوا ببذل نفوسهم
 وقالوا لقرعون : اقض ما أنت قاض ! . ومتى تمكنت الحبة من القلب لم تنبث
 الجوارح إلا إلى طاعة الرب ، وهذا هو معنى الحديث الإلهي الذي خرَّجه
 البخاري في صحيحه ، وفيه : لا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ،
 فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي
 يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها . وفي بعض الروايات : فبي يسمع وبني
 يبصر . والمعنى أن محبة الله إذا استغرق بها القلب واستولت عليه لم تنبث

(١) سورة التوبة ، آية ٢٤ - والآية بتمامها : « قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ
 وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ
 كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ
 فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ » .
 (٢) مثل قوله تعالى : « قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ » سورة النور ، آية ٥٠ .

الجوارح إلا إلى رضا الرب ، وصارت النفس حينئذ مظمئنة بإرادة مولاه
عن مرادها وهواها .

يا هذا ! اعبد الله لمراذه منك لا لمراكك منه ، فمن عبده لمراذه منه فهو
من يعبده على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على
وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ؛ ومتى قويت المحبة والمعرفة لم يُرَد صاحبها
إلا ما يريد مولاه .

وفي بعض الكتب السابقة : من أحبَّ الله لم يكن شيء عنده آثر
من رضاه ، ومن أحب الدنيا لم يكن شيء عنده آثر من هوى نفسه .
وروى ابن أبي الدنيا ^(١) بإسناده عن الحسن قال : ما نظرت ببصرى ،
ولا نطقت بلسانى ، ولا بطشت بيدي ، ولا نهضت على قدمي ، حتى أنظر
على طاعة الله أو على معصيته ، فإن كان على طاعة تقدمت ، وإن كان
على معصية تأخرت .

هذا حال خواص المحبين الصادقين ، فافهموا رحمكم الله هذا ، فإنه
من أسرار التوحيد الغامضة . وإلى هذا المقام أشار النبي ﷺ في خطبته
حين قدم المدينة حيث قال : أحبوا الله من كل قلوبكم . وقد ذكرها ابن

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبيدة (بالفتح) ابن أبي الدنيا البغدادي
الحافظ صاحب التصانيف ، قال عنه أبو حاتم إنه صدوق ، وتوفى سنة إحدى
وثمانين ومائتين .

إسحاق^(١) وغيره . فمن امتلأ قلبه من محبة الله لم يكن فيه فراغ لشيء .
من إرادات النفس والهوى ؛ وإلى ذلك أشار القائل بقوله :

أروح وقد ختمت على فؤادي	بحبك أن يحل به سواكا
فلو أنى استطعت غضضت طرفي	فلم أنظر به حتى أراكا !
أحبك لا بيعضى بل بسكلى	وإن لم يُبق حبك لى حراكا
وفى الأحباب مخصوص بوجد	وآخر يدعى فيك اشتراكا
إذا اشتبكت دموع فى خدود	تبين من بكا بمن تباكى !

متى بقى للمحب حظ من نفسه فما بيده من المحبة إلا الدعوى ؛ إنما
المحب من يفنى عن هوى نفسه كله ، ويبقى بحبيبه ؛ فبى يسمع وبى يبصر .
القلب بيت الرب :

وفى الإسرائيليات^(٢) يقول الله : ما وسعنى سماءى ولا أرضى ، ووسعنى

(١) هو أحد الأئمة الأعلام ، لاسيما فى المغازى والسير ، محمد بن إسحق
ابن يسار المطلبى المدنى ، صاحب السيرة المعروفة باسمه ، وكان بحراً من بحور
العلم ذكياً حافظاً طلياً للعلم أخبارياً نساباً علامة ، قال فيه ابن حنبل :
هو حسن الحديث . ومن كتب ابن إسحاق أخذ ابن هشام ، وكل من تكلم
فى السيرة فعليه اعتماده . وعن ابن شهاب قال : لا يزال بالمدينة علم جم ما كان
فيها ابن إسحاق . توفى ببغداد ، ودفن فى مقبرة الخيزران أم الرشيد ، نسبت
المقبرة إليها لأنها أول من دفن فيها . وكانت وفاة ابن إسحق سنة إحدى
وخمسين ومائة .

(٢) الإسرائيليات طائفة من القصص والنصوص التى نقلت عن اليهود
وبنى إسرائيل والأخبار ، ومنها الصحيح وهو القليل ، ومنها الدخيل الكاذب
وهو فيض ، وقد لاقى التراث الإسلامى مالا لاقى من هذه الإسرائيليات واختلاطها
بمأثور النصوص والسير .

قلب عبدى المؤمن . فمتى كان القلب فيه غير الله فالله أغنى الأغنياء عن
الشرك ، وهو لا يرضى بمزاحمة أصنام الهوى . . . الحق غيور يغار على
عبد المومن أن يسكن فى قلبه سواء ، أو يكن^(١) فيه شىء ما يرضاه .
أردناكم صرفاً فلما مزجتم بعدتم على قدر التفاتكم عنا
وقلنا لكم : لا تسكنوا القلب غيرنا فأسكنتم الأغيار ؛ ما أنتم منا !
لا ينجو غداً إلا من أتى الله بقلب سليم ليس فيه سواء ؛ قال الله
تعالى : « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم »^(٢) . وهو
الطاهر من أدناس المخالقات ، فأما المتلطح بشىء من المكروهات فلا
يصلح لمجاورة حضرة القدوس^(٣) إلا بعد أن يطهر بكبر^(٤) العذاب ، فإذا
زال عنه الخبث صلح حينئذ للمجاورة . إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً .
فأما القلوب الطيبة فتصلح للمجاورة من أول الأمر . « سلام عليكم بما صبرتم

(١) الصواب : يكون

(٢) سورة الشعراء ، آيتا ٨٨ ، ٨٩

(٣) القدوس : القدس بالضم ويضميتن الطهر ، والقدوس اسم من أسماء الله
بضم القاف وفتحها ، أى الطاهر أو المبارك . والتقديس التطهير ، ومنه الأرض
المقدسة وبيت المقدس ؛ وتقدس تطهر ، والقادسية قرية قرب الكوفة ، يقال إن
إبراهيم عليه السلام مر بها فوجد فيها عجوزاً فغسلت رأسه فقال : قُدِّسَتْ
من أرض . فسميت بالقادسية ، ودعا لها أن تكون محلة الحاج . وروح القدس
جبريل عليه السلام .

(٤) الكبر بكسر الكاف : زق ينفخ فيه الحداد ، وأما المبنى من الطين
فاسمه : كور .

فنعنم عقبى الدار^(١) . «سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين»^(٢) . «الذين تنوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون»^(٣) . من لم يُحرق اليوم قلبه بنار الأسف على ماسلف ، أو بنار الشوق إلى لقاء الحبيب ، فنار جهنم أشد حرًا .

ما يحتاج إلى تطهّر بنار جهنم إلا من لم يُكْمَل تحقيق التوحيد والقيام بحقوقه .

أول من تُسعر به النار من الموحدين المراءون بأعمالهم ، وأولهم العالم والمتصدق والمجاهد^(٤) للرياء ، لأن الرياء شرك .

ما تظاهر المرأى إلى الخلق بعمله إلا بجعله بعظمة الخالق . المرأى يزور التواقيع على اسم الملك ليأخذ البراطيل^(٥) لنفسه ، ويوهمهم أنه من خاصة الملك وهو ما يعرف الملك بالكلية .

(١) سورة الرعد ، آية ٢٤ .

(٢) سورة الزمر ، آية ٧٣ — والآية بتمامها : «وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» .

(٣) سورة النحل ، آية ٣٢ .

(٤) الجبار والحجور متعلق بكل ما ذكر ، أى العالم الذى تعلم للرياء ، والمتصدق الذى تصدق للرياء ، والمجاهد الذى جاهد للرياء . . . وفى العبارة نوع من اللبس كما ترى .

(٥) البرطيل بكسر الباء الرشوة ، جمعه براطيل ؛ وبرطل فلان فلاناً أى رشاه ، فبرطل أى ارتشى .

نَقَشَ المَرَأَى عَلَى الدرهم الزايف اسم الملك ليروج ، والبهرج ^(١) لا يجوز
إلا على غير الناقد .

بعد أهل الرياء يدخل النار أهلُ الشهوات ، وعبيد الهوى الذين أطاعوا
هوامهم ، وعصوا مولاهم ؛ فأما عبيد الله حقاً فيقال لهم : « يا أيُّها النفس المطمئنة ،
ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي ، وادخلي جنتي » ^(٢) .
جهنم تنطفئ بنور إيمان الموحدين .

وفي الحديث : تقول النار : جُزْ يا مؤمن فقد أطفأ ^(٣) نورك لهي .

وفي المسند عن جابر ^(٤) رضي الله عنه عن النبي ﷺ : لا يبقى بر ولا

(١) البهرج : الباطل ، والردى ، وهذا هو المناسب هنا ، والبهرجة أن
يُعدَّل بالشئ عن طريقه المستقيم إلى غيرها ، والمُبَهَّرَجُ من المياه المُهْمَلُ
الذي لا يُمْتَنَع عنه بل يَسْرُدُهُ كل من هب ودب ، والمهريج من الدماء المهدر ،
وقول أبي مِجْشَعْن لسعد بن أبي وقاص : بهرجتني ؛ أي أهدرتني بإسقاط الحد عنى .

(٢) سورة الفجر ، آيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ .

(٣) أطفأ : سهلة من أطفأ .

(٤) هو الصحابي الحليل أبو عبد الله أو أبو محمد أو أبو عبد الرحمن جابر بن
عبد الله بن عمرو بن حرام السَّلَاسِمِيُّ الأنصاري المدني ، صحابي مشهور ، روى
أحاديث كثيرة ، وهو ممن شهد العقبة ، وغزا تسع عشرة غزوة . قال جابر :
استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البعير خمسا وعشرين مرة .
وهو آخر من مات من أهل العقبة ، وهو من أهل بيعة الرضوان ، وأهل
السوابق والسبق في الإسلام ، وكان كثير العلم ، ومناقبه عديدة ؛
توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة ثمان وسبعين ، وعمره أربع وسبعون سنة ؛
وفي الشذرات أن عمره أربع وتسعون سنة .

فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم (١).
حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم .

هذا ميراث ورثه المحبون من حال الخليل عليه السلام .
نار المحبة في قلوب المحبين تخاف منها نار جهنم .

قال الجنيد (٢) رحمه الله : قالت النار : يارب لو لم أطعك هل كنت

(١) يشير إلى قوله تعالى في سورة الأنبياء : « قالوا حرقوه وانصروا
آفتكم إن كنتم فاعلين ، قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم ، وأرادوا به
كيداً فجعلناهم الأخسرين » . والقصة مشهورة في كتب التفسير والتاريخ .

(٢) هو سيد طائفة الصوفية وشيخهم تاج العارفين أبو القاسم الجنيد
ابن محمد الزجاج القواريري ، كان أبوه يبيع الزجاج ، فلذلك يقال له القواريري
أصله من نهاوند ، وولد ونشأ بالعراق ، وكان فقيهاً يفتي الناس على مذهب
أبي ثور صاحب الإمام الشافعي وراوى مذهبه القديم ؛ وصحب الجنيد خاله
السري السقطي والحارث المحاسبي ومحمد بن علي القصاب ؛ وكان من كبار أئمة
القوم وساداتهم ، وكلامه مقبول على جميع الألسنة ؛ وحج على قدميه ثلاثين حجة
ومن كلامه : إن الله يخلص إلى القلوب من بره على حسب ما تخلص إليه القلوب
من ذكره ، فانظر ماذا خالط قلبك ! . ومنه : الغفلة عن الله تعالى أشد من
دخول النار . وسئل عن المعرفة بالله أهى كسب أم ضرورة ، فقال رضي الله
عنه : رأيت الأشياء تدرك بشيئين ، فما كان منها حاضراً فبالحس ، وما كان
منها غائباً فبالدليل ، ولما كان الحق تعالى غير باد لحواسنا كانت معرفته
بالدليل والفحص ، إذ كنا لانعلم الغيب والغائب إلا بالدليل ، ولا نعلم
الحاضر إلا بالحس . وكان يقول : من فتح على نفسه باب نية حسنة فتح الله
عليه سبعين باباً من التوفيق ، ومن فتح على نفسه باب نية سيئة فتح الله عليه
سبعين باباً من الخذلان من حيث لا يشعر ! . وكان يقول : إن للعلم ثمناً
فلا تعطوه حتى تأخذوا ثمنه . قيل له : وما ثمنه ؟ قال : وضعه عند من يحسن
حمله ولا يضيعه ... وقال بعض من حضر وفاته : كنت واقفاً على رأس الجنيد =

تعذبنى بشيء أشد مني ؟ . قال : أسلط عليك نارى الكبرى قالت : وهل
نار أعظم وأشد مني ؟ قال : نعم ، نار محبتي أسكنتها قلوب أوليائي المؤمنين
فقا قليلاً بها على ، فلا أقل من نظرة أرددها
فلولا دموع الحبين تطفىء بعض حرارة الوجد لا احترقوا كمداً .

دعوه يطفى بالدموع حرارة على كبد حررى ، دعوه ، دعوه !
سكوا عاذليه يعذروه هنيهة فبالعدل دون الشوق قد قتلوه !
كان بعض العارفين ، يقول : أليس عجباً أن أكون بين أظهركم وفى
قلبي من الاشتياق إلى ربى مثل الشعلة التى لا تنطفىء ؟ ! ..

ولم أر مثلاً نار الحب نارا تزيد بعد موقدها اتقادا

= وقت وفاته ، وكان يوم جمعة ، وهو يقرأ القرآن ، فقلت له : يا أبا القاسم
ارفق بنفسك . فقال : أرأيت أحداً أحوج إليه منى فى هذا الوقت الذى تطوى
فيه صحيفتى ؟ . وكان قد ختم القرآن ثم بدأ بالبقرة ، فقرأ سبعين آية ثم مات
رحمه الله . وكانت وفاته سنة سبع وتسعين ومائتين ، وقيل سنة ثمان وتسعين
ومائتين ، وقبره ببغداد ظاهر يزار . قال الحريرى : وكان فى جوار الجنيد
رجل مصاب فى خربة ، فلما مات الجنيد رحمه الله تعالى ودفناه ، ورجعنا من
جنازته ، تقدمنا ذلك المصاب فصعد موضعاً عالياً وقال : يا أبا محمد ! أترانى
أرجع إلى تلك الخربة وقد فقدت ذلك السيد ؟ . ثم أنشد يقول :

وأأسفى من فراق قوم هم المصاييح ، والحصون
والمدن ، والمزن ، والرواسى والخير ، والأمن ، والسكون
لم تتغير لنسا الليالى حتى توفتهم المنون
فكل جهر لنا قلوب وكل ماء لنا عيون !!

قال : ثم غاب عنا فكان ذلك آخر العهد به ، رضى الله عنه .

ما للعارفين شغل بغير مولا هم ، ولا هم في غيره .

وفي الحديث : من أصبح وهمه غير الله فليس من الله .

قال بعضهم : من أخبرك أن وليه له هم في غيره فلا تصدقه .

وكان داود الطائي^(١) يقول : همك عطل على المموم ، وحالف بيني

وبين السهاد ، وشوق إلى النظر إليك أوبق^(٢) مني اللذات ، وحال بيني

وبين الشهوات ، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب . .

مالي شغل سواه ، مالي شغل ما يصرف عن هواه قلمي شغل

ما أصنع إن جفا وخاب الأمل ؟ مني بدل ومنه مالي بدل !

إخواني : إذا فهمتم هذا المعنى فهمتم معنى قوله صلى الله عليه وسلم : من شهد أن لا إله

إلا الله صادقاً من قلبه حرّمه الله على النار . أما من دخل النار من أهل

(١) هو العالم الرباني الزاهد أحد الأعلام أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي ، الذي قال فيه ابن المبارك : هل الأمر إلا ما كان عليه داود ؟ . وقد كان رضى الله عنه كبير الشأن في باب الزهد والورع ، حتى إنهم دخلوا عليه في مرض موته فلم يجدوا في بيته شيئاً غير دن صغير فيه خبز يابس ومطهرة ولبنة كبيرة من التراب هي مخدته ! . وقيل له مرة : دلنا على رجل نجلس إليه فتربح . فقال رضى الله عنه : تلك ضالة لا توجد ! . ومكث أربعاً وستين سنة أعزب ، فقيل له : كيف صبرت عن النساء ؟ . قال : قاسيت شهوتهن عند إدراكي (أى بلوغى) سنة ، ثم ذهبت شهوتهن من قلبي . وكان لا يسأل الله الجنة حياء منه ويقول : وددت أن أنجو من النار فأصير رماداً . توفي رضى الله عنه سنة ستين ومائة ، وقيل سنة خمس وستين ومائة .

(٢) أوبق مني اللذات : أى حبسها أو أهلكها .

هذه الكلمة فليلة صدقه بها ؛ فإن هذه الكلمة إذا صدقت طهرت القلب
من كل ما سوى الله ، ومتى بقى فى القلب أثر سوى الله فمن قلة الصدق
فى قولها .

من صدق فى قول لا إله إلا الله لم يحبّ سواه ، ولم يرج سواه ، ولم
يخش أحداً إلا الله ، ولم يتوكل إلا على الله ، ولم يبق له بقية من آثار نفسه
وهواه ، ومع هذا فلا تظنون أن الحب مطالب بالعصمة ، وإنما هو مطالب
كلما زلّ أن يتلافى تلك الزلة .

قال زيد بن أسلم^(١) : إن الله ليحبّ العبد حتى يبلغ من حبه أن يقول :
اعمل ما شئت فقد غفرت لك^(٢) .

(١) هو أحد الأعلام الإمام الفقيه العلامة العابد أبو عبد الرحمن ، وقيل
أبو أسامة ، زيد بن أسلم العدوى ، روى عن ابن عمر وسلمة بن الأكوع وألس
وأضرابهم ، وله تفسير القرآن يرويه عنه ابنه عبد الرحمن . قال مالك : كان
زيد يحدثنا من تلقاء نفسه فإذا قام فلا يجترئ عليه أحد . وكانت له حلقة
للفتوى والعلم بالمدينة ، قال أبو حازم الأعرج : لقد رأيتنا فى حلقة زيد بن أسلم
أربعين فقيهاً أدنى خصلة فينا التواصى بما فى أيدينا . ونقل البخارى أن زين
العابدين بن على بن الحسين كان يجلس إلى زيد بن أسلم . توفى رضى الله عنه
فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة .

(٢) إنما أحب الله عبده هذا الحب لإقبال العبد عليه بكلية وفناءه
فى عبوديته ، فلو أطلق له السراح ، وتترك والباح ، لما فعل إلا ما يحبه الله ،
وهذا يذكرنا بصفوة الصحابة من أهل بدر الذين قال فيهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « لعل الله اطلع على أهل بدر ، فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد
غفرت لكم » .

وقال الشعبي^(١): إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب . وتفسير هذا الكلام أن الله عز وجل له عناية فيمن يحبه ، فكما زلق العبد في هوة الهوى أخذ بيده إلى النجا ، ييسر له التوبة ، وينبئه على قبح الزلة ، فيفرغ إلى الاعتذار ، ويتتليه بمصائب مكفرة لما جنى .

وفي بعض الآثار : يقول الله تعالى : أهل ذكرى أهل مجالستي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي ، وأهل معصيتي لا آتسهم من رحمتي ؛ إن تابوا فأنا

(٣) هو الإمام الخبير العلامة العلم أبو عمرو عامر بن شراحيل بن معبد الشعبي الكوفي الحميدي ، ولد لست سنين مضت من خلافة عثمان ، وكانت أمه من سبي جلولاء ، وكان نحيفاً ضئيلاً ، وقيل له : مالنا نراك ضئيلاً ؟ قال : إني زوحت في الرحم ؛ وكان ولد هو وأخ له في بطن واحد . وكان مزاحاً ، قال لخياط مر به : عندنا حب مكسور تخطيه ؟ فأجابه الخياط : نعم إن كان عندك خيط من ريش ! . وروى أن رجلاً دخل عليه ومعه في البيت امرأته ، فقال الرجل : أيكما الشعبي ؟ فأشار الشعبي إلى المرأة وقال للرجل : هذه ! ! . وقال له أبو بكر الهذلي : تعجب الشعر ؟ فقال : إنما يحبه فحول الرجال ، ويكرهه مؤنثوهم ! . ومن كلامه : إنما الفقيه من تورع عن محارم الله ، والعالم من خاف الله تعالى . وقال : تعايش الناس بالدين زمناً طويلاً حتى ذهب الدين ، ثم تعايشوا بالمروءة زمناً طويلاً حتى ذهبت المروءة ، ثم تعايشوا بالحياء زمناً طويلاً حتى ذهب الحياء ، ثم تعايشوا بالرغبة والرغبة (أى بالطمع والخوف) وسيأتي بعد ذلك ما هو أشد منه . ومرضى الله عنه برجل يعتابه فقال :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلحت

توفى رضى الله عنه فجاءة بالكوفة سنة أربع ومائة ، وقيل قبلها ، وقيل بعدها وهو ابن سبع وتسعين سنة .

حببيهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طيبهم ؛ أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعاصي .
وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : الحى
تُذهِبُ الخطايا كما يذهب الكيرُ حَبَثَ الحديد .

وفي المسند وصحيح ابن حبان ^(١) عن عبد الله بن معقل أن رجلا لقي امرأة
بَغِيًّا في الجاهلية ، فجعل يلاعبها حتى بسط يده إليها ، فقالت : مه ^(٢) فإن الله
قد أذهب الشرك وجاء بالإسلام ؛ فتركها ووَلَّى ، فجعل يلتفت إليها حتى
أصيب وجهه ^(٣) ، فأتى إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره بالأمر فقال النبي ﷺ :
أنت عبد أراد الله بك خيراً . ثم قال : إن الله إذا أراد بعبده شراً أمسك
عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة .

يا قوم ! قلوبكم على أصل الطهارة ، وإنما أصابها رشاش من نجاسة
الذنوب ، فَرُّشُوا عليها قليلاً من دموع العيون وقد طهرت .
اعزموا على فِطام النفوس من رِضَاع الهوى ، فالحمية ^(٤) رأس الدوا ؛
حتى إن طالمتكم مألوفاتها فقولوا كما قالت تلك المرأة لذلك الرجل الذى

(١) هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى بن حَبَّان بن منقذ بن عمرو المازنى
الدمنى الأنصارى ، كانت له حلقة في مسجد النبی صلی الله عليه وسلم ، وتوفي
سنة إحدى وعشرين ومائة .

(٢) مه : أى اكفف .

(٣) لعله أصيب بما شوهه أو جرحه أو أسال دمه انتقاماً من الله وتعجيلاً
له بالتأديب .

(٤) الحمية (بكسر فسكون ففتح) : الامتناع عن الشئ .

دى وجهه : قد أذهب الله الشرك وجاء بالإسلام ؛ والإسلام يقتضى الاستسلام والالتقياد والطاعة .

ذَكَرُوهَا مَدْحَةً : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ^(١) » لعلمها تحينُ إلى الاستقامة .

عرفوها اطلاعاً من هو أقرب من حبل الوريد ^(٢) لعلمها تستحى من قربهِ ونظرهِ : « ألم يعلم بأن الله يرى ^(٣) » ، « إن ربك لبالمرصاد ^(٤) » .
رَأَوْدَ رَجُلٍ امْرَأَةً فِي فَلَاةٍ لَيْلاً فَأَبَتْ ، فقال لها : ما يرانا إلا الكواكب قالت : أين مُكْوَبُكِهَا ! ^(٥) .

أَكْرَهَ رَجُلٌ امْرَأَةً عَلَى نَفْسِهَا ، وأمرها بفتح ^(٦) الأبواب ، فقال لها : هل بقي باب لم تغلقه ؟ . قالت : نعم ، الذى بيننا وبين الله ؛ فتركها ولم يتعرض لها .

رَأَى بَعْضُ الصَّالِحِينَ رَجُلًا يَكَلِّمُ امْرَأَةً فَقَالَ : إن الله يراكما ، سترنا الله وإياكما ! .

(١) سورة فصلت ، آية ٣ - وتتمامها : « تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » .

(٢) الوريد : عرق فى العنق .

(٣) سورة العلق ، آية ١٤ .

(٤) سورة الفجر ، آية ١٤ .

(٥) مكوبها : أى خالقها وصانعها .

(٦) الصواب : إغلاق ، أو تغليق .

سئل الجنيد رحمه الله تعالى : بما ^(١) يستعان به على غض البصر ؟ .
 قال : بعلمك أن نَظَرَ الله إليك أسبق من نظرك إلى من تنظره .
 وقال المحاسبي ^(٢) : المراقبة علم القلب بقرب الرب . . . كلما قويت
 المعرفة بالله قوى الحياء .

(١) لعل الصواب هو : عما .

(٢) هو الزاهد الناطق بالحكمة أبو عبد الله الحارث بن أسيد المحاسبي ،
 أحد شيوخ الجنيد ، وصاحب المصنفات في الأحوال والتصوف ، وهو من أعرف علماء
 مشايخ الصوفية بعلوم الظاهر وعلوم الأصول وعلوم المعاملات ، وهو عديم
 النظير في زمانه ، وأستاذ أكثر البغداديين ، وهو بصري الأصل ، وله
 مؤلفات نفيسة في السلوك والأصول ، ولم يأخذ من ميراث أبيه شيئاً لأن أباه
 كان قدرياً . ومن كلامه : فقدنا ثلاثة أشياء : حسن الوجه مع الصيانة ،
 وحسن القول مع الأمانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء . وأنشدوا بين يديه مرة :
 أنا في الغربة أبسكى ما بكت عين غريب
 لم أكن يوم خروجي من مسكاني بمصيب
 عجيباً لي ولتركي وطناً فيه حبيبي !

فقام وتواجد حتى رق له كل من حضره . وقيل لأحمد بن حنبل رضى الله عنه :
 إن الحارث المحاسبي يتكلم في علوم الصوفية ، ويحتج لها بالآي والحديث ، فهل
 لك أن تسمع كلامه من حيث لا يشعر ؟ . فقال : نعم . فحضر معه ليلة
 إلى الصباح ، ولم ينكر من أحواله ولا من أحوال أصحابه شيئاً ؛ قال : لأنى
 رأيتهم لما أذن بالمغرب تقدم فصلى ، ثم حضر الطعام فجعل يتحدث أصحابه
 وهو يأكل ، وهذا من السنة ، فلما فرغوا من الطعام وغسلوا أيديهم جلس وجلس
 أصحابه بين يديه ، وقال : من أراد منكم أن يسأل عن شئ فليسأل ؛ فسألوه
 عن الرياء والإخلاص وعن مسائل كثيرة فأجاب عنها ، واستشهد عليها بالآي
 والحديث ؛ فلما مر جانب من الليل أمر الحارث قارئاً يقرأ ، فقرأ فبكوا وصاحوا
 وانتحبوا ، ثم سكت القارئ ، فدعا الحارث بدعوات خفاف ، ثم قام إلى الصلاة =

أوصى النبي ﷺ رجلاً أن يستحي من الله كما يستحي من رجلين صالحين من عشيرته لا يفارقانه . قال بعضهم : استح من الله على قدر قرب به منك ، وخف من الله على قدر قدرته عليك . كان بعضهم يقول : منذ أربعين سنة لم أخط خطوة لغير الله ، ولا نظرت إلى شيء أستحسنه حياة من الله :

كأن رقيباً منك يرعى خواطري وآخر يرعى ناظري ولساني
فما أبصرت عيناى بعدك منظراً لغيرك إلا قلت قد رَمَاني
ولا بدرت من فيّ بعدك لفظة لغيرك إلا قلت قد سمعاني
ولا خطرت من ذكر غيرك خطرة على القلب إلا عَرَجاً بعناني

فصل

وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن هاهنا استقصاؤها ؛ فلنذكر بعض ما ورد فيها ؛ فهي كلمة التقوى كما قال عمر رضي الله عنه وغيره ، وهي كلمة الإخلاص ، وشهادة الحق ، ودعوة الحق ، وبراءة من الشرك ، ونجاة هذا الأمر ، ولأجلها خلق الخلق ، كما قال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » (١) . وقال تعالى :

== فلما أصبح الصباح اعترف أحمد بن حنبل رضي الله عنه بفضله ، وقال : كنت أسمع عن الصوفية خلاف هذا أستغفر الله العظيم . مات رضي الله عنه ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

(١) سورة الأنبياء ، آية ٢٥ .

« ينزل الملكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون » (١). وهذه الآية أول ما عدد الله من النعم في سورة النحل التي تسمى آية النعم ، ولهذا قال ابن عيينة (٢) : ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أفضل من أن عرّفه لا إله إلا الله ؛ وإن « لا إله إلا الله » لأهل الجنة كلام البارد لأهل الدنيا ، ولأجلها أعدت دار الثواب ودار العقاب ، ولأجلها أمرت الرسل بالجهاد ، فمن قاتلها عصم ماله ودمه ، ومن أبأها فماله ودمه حلال ، وهي مفتاح الجنة ، ومفتاح دعوة الرسل ، وبها كلم الله موسى كفاحاً (٣) .

(١) سورة النحل ، آية ٢ .

(٢) هو أحد الأعلام شيخ الحجاز محدث الحرم الإمام العلم أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي الكوفي الحافظ نزيل مكة ، ولد رضى الله عنه في الكوفة سنة سبع ومائة وسكن مكة ، وحفظ القرآن وهو ابن سنوات قليلة ، وكتب الحديث بعد ذلك وهو ابن سبع ، ولم تكن له كتب ، وقال الشافعي : لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز . وقال ابن وهب : لأعلم أحداً أعلم بالتفسير من ابن عيينة . وجمع سبعين حجة . وقال عنه الشافعي : ما رأيت أحداً فيه من الفتيا ما فيه ، ولا أكف عن الفتيا منه . وتوفي رضى الله عنه بمكة في أول رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ، ودفن بالحجون ، وهو ابن إحدى وتسعين سنة .

(٣) كفاحاً : أى مواجهة .

وفي مسند البزار^(١) وغيره عن عياض الأنصارى^(٢) عن النبي ﷺ

(١) هناك الامام أبو علي الحسن بن الصباح البزار، سمع سفيان بن عيينة وأبا معاوية وطبقتهما، وكان أحمد بن حنبل يرفع قدره ويحله ويحترمه، وروى عنه البخاري وقال أبو حاتم: صدوق. كانت له جلالة عجيبة، توفي رحمه الله ببغداد سنة تسع وأربعين ومائتين.

وهناك أيضاً أبو حمزة محمد بن إبراهيم البغدادي البزار، كان فقيهاً عالماً بالقرآن، وكان يتكلم ببغداد في مسجد الرصافة قبل كلامه في مسجد المدينة؛ تكلم يوماً في مسجد المدينة فتغير عليه حاله وسقط عن كرسيه ومات في الجمعة الثانية، وكان الامام أحمد إذا جرى في مجلسه شيء من كلام الصوفية يقول لأبي حمزة: ما تقول في هذا يا صوفي؟. ودخل البصرة مراراً وصحب بشراً الحافي، ومات سنة تسع وثمانين ومائتين. ومن كلامه: إذا فتح الله عليك طريقاً من طرق الخير فالزمه، وإياك أن تنظر إليه، أو تفتخر به، واشتغل بشكر من وفقك لذلك، فان نظرك إليه يسقطك من مقامك، واشتغالك بالشكر يوجب لك فيه المزيد؛ قال تعالى: لئن شكرتم لأزيدنكم. وروى أنه كان حسن الكلام، فهتف به هاتف: تكلمت فأحسنت، بقي عليك أن تسكت فتحسن! فما تكلم بعد ذلك حتى مات!.

وهناك الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، صاحب المسند الكبير، (وهو المقصود لابن رجب هنا)، روى عن هدية بن خالد وأقرانه، وحدث في آخر عمره بأصبهان والعراق والشام، وفي توثيقه خلاف. توفي في ربيع الأول بالرملة سنة ثنتين وتسعين ومائتين.

(فائدة): جاء في شذرات الذهب ما نصه: «والبزار بالراء آخره لعله منسوب إلى بيع البزر». وفي التاريخ جماعة كبيرة ممن لقبوا بلقب «البزار» منهم المشهور ومنهم المغمور.

(٢) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

قال : إن لا إله إلا الله كلمة حق على كريم ، ولها من الله مكان ، وهي كلمة جمعت وشركت ، فمن قالها صادقاً أدخله الله الجنة ، ومن قالها كاذباً أحرزت ماله ، وحقت دمه ، ولقى الله فيحاسبه .

وهي ثمن الجنة (١) :

قال الحسين وجابر مرفوعاً من وجوه ضعيفة : ومن كانت آخر كلامه دخل الجنة .

وهي نجاة من النار :

وسمع النبي ﷺ مؤذناً يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ؛ فقال : خرجت من النار . خرّجه مسلم .

وهي توجب المغفرة :

وفي المسند (٢) عن شدّاد بن أوس (٣) وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لأصحابه : ارفعوا أيديكم وقولوا : « لا إله إلا الله » . فرفعنا أيدينا ساعة ، فوضع رسول الله ﷺ يده ، وقال : الحمد لله ، اللهم بعثني

(١) وإنما تكون ثمن الجنة عند الوفاء بحقها ، والالتزام بحقوقها ، والارتباط بحدودها ، والقيام بواجباتها ، لا بمجرد النطق بها فحسب .

(٢) هو علم على الكتاب الجليل الذي جمع فيه الامام ابن حنبل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) هو أبو يعلى شدّاد بن أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري النجاري المدني ، ابن أخي حسان بن ثابت ، قال فيه عبادة بن الصامت : شدّاد من الذين أوتوا العلم والعمل . توفي سنة ثمان وخمسين ببيت المقدس .

بهذه الكلمة ، وأمرتني بها ، ووعدتني الجنة ، وإنك لا تخلف الميعاد ؛
ثم قال : أبشروا فإن الله قد غفر لكم .

وهي أحسن الحسنات :

قال أبو ذر : قلت : يا رسول الله ! علمني عملاً يقربني من الجنة ،
ويباعدني من النار . قال : إذا عملت سيئة فاعمل حسنة ، فإنها عشر أمثالها .
قلت : يا رسول الله ، لا إله إلا الله من الحسنات . قال : هي أحسن
الحسنات .

وهي تمحو الذنوب والخطايا :

وفي سنن ابن ماجه (١) عن أم هانئ (٢) عن النبي ﷺ قال : لا إله
إلا الله لا تترك ذنباً ، ولا يسبقها عمل .

روى بعض السلف بعد موته في المنام ، فسئل عن حاله ، فقال :
ما أبقت لا إله إلا الله شيئاً .

وهي تجدد ما درّس من الإيمان في القلب :

وفي المسند أن النبي ﷺ قال لأصحابه : جددوا إيمانكم . قالوا : كيف

(١) هو أبو عبد الله محمد بن ماجه القزويني صاحب السنن في الحديث ،
توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين .

(٢) هي أم هانئ بنت عبد المطلب الهاشمية ، إحدى عمات الرسول صلى الله
عليه وسلم ، قيل إن اسمها فاختة ، وقيل بل هند ، وروت جملة أحاديث .
وأسلمت يوم الفتح .

نجدد إيماننا ؟ . قال : قولوا : لا إله إلا الله ، وهى التى لا يعدها شىء
 فى الوزن ، فلو وُزِنَتْ بالسموات والأرض لرجحت بهن ، كما فى المسند عن
 عبد الله بن عمرو (١) رضى الله عنه عن النبى ﷺ : أن نوحاً عليه السلام
 قال لابنه عند موته : آمرك بلا إله إلا الله ، فإن السموات السبع والأرضين
 السبع لو وُضِعْنَ فى كفة ووضعت لا إله إلا الله بكفة لرجحت (٢) بهن ؛
 ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كنَّ فى حلقة مبهمة فصَمَتْنِ (٣)
 لا إله إلا الله .

وفيه أيضاً عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه عن النبى ﷺ : أن موسى
 عليه السلام قال : يارب علمنى شيئاً أذكرك وأدعوك به . قال : يا موسى قل :
 لا إله إلا الله ؛ قال موسى : يارب ! كلُّ عبادك يقولون هذا . قال : يا موسى !
 قل : لا إله إلا الله . قال : لا إله إلا الله ؛ إنما أريد شيئاً تخصنى به . قال :

(١) هو الصحابى الفاضل العابد المكثّر فى الرواية أبو محمد عبد الله
 ابن عمرو بن العاص السهمى ، لم يكن بينه وبين أبيه إلا إحدى عشرة سنة ؛
 وأسلم قبل أبيه ، وكان يلوم أباه على القيام فى الفتن والقتال بأدب وتؤدة ،
 ويقول : مالى ولصفيين ؛ مالى ولقتال المسلمين ؛ لوددت أنى مت قبلها
 بعشرين سنة ! . وحلف بالله أنه لم يرم فى حرب صفين برمح ولا سهم ، وإنما
 حضرها لعزم أبيه عليه ، ولقول الرسول له : « أطع أباك » . توفى رضى الله عنه
 سنة خمس وستين ، وقيل سنة ثمان وستين .

(٢) أى زادت عليهن .

(٣) أى لو كانت السموات والأرض فى حلقة مغلقة عليهن لامتغذ فيها ،
 وجاءت كلمة التوحيد ييقينها وسلطانها لحطمت هذه الحلقة .

ياموسى ، لو أن السموات السبع والأرضين السبع وعامرهن^(١) غيرى فى كفة ، ولا إله إلا الله فى كفة ، مالت بهن لا إله إلا الله ؛ وكذلك ترجح فى صحايف الذنوب كما فى حديث السجلات والبطاقة ، وقد أخرجه أحمد^(٢)

(١) وعامرهن غيرى : أى والمدرهن المسيطر عليهن غيرى .

(٢) هو شيخ الأمة وعلم أعلام بغداد وعالم أهل العصر أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الذهلى الشيبانى المروزى ثم البغدادى ، الإمام الفقيه الحافظ الحجة ، ولد سنة أربع وستين ومائة ببغداد ولشأ بها ، وكان أبوه جندياً فمات شاباً فى أول طلب ابنته أحمد للعلم فى سنة تسع وسبعين ومائة ، وكان ابن حنبل شيخاً أسمر مديد القامة مخضوباً عليه سكبنة وقار ، وكان إماماً فى الحديث وضروبه ، إماماً فى الفقه ودقائقه ، وهو أحد الأئمة الأربعة الذين لا تزال مذاهم مشهورة إلى اليوم ، وكان إماماً فى السنة ودقائقها ، إماماً فى الورع وغوامضه ، إماماً فى الزهد وحقائقه . وقد رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة ؛ وكان يضرب به المثل فى اتباع السنة واجتناب البدعة ، وكان لا يدع قيام الليل قط ، وكان يسر ذلك وأمثاله عن الناس ؛ وقال أبو عصمة رضى الله عنه : بت ليلة عند أحمد رضى الله عنه فجاءنى بماء فوضعه ، فلما أصبح نظر إلى الماء كما هو فقال : ياسبحان الله ؛ رجل يطلب العلم ولا يكون له ورد من الليل ؟ . وكان يلبس الثياب النقية البياض ويتعهد شاربه وشعر بدنه ورأسه ، وكان زاهداً متقشفاً فى طعامه وشرابه وكان ورده كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ، وحج رضى الله عنه خمس حجرات ثلاثاً منها ماشياً ، وابتلى بفتنة القول فى خلق القرآن فصبر واحتمل ، وكان مثلاً يروى للجبل بعد الجبل فى الإيمان والثبات والاحتساب . ويقول فيه الشافعى : خرجت من بغداد وما خلفت بها أفتقه ولا أروع ولا أزهد من أحمد بن حنبل . وقال إبراهيم الحزبي : أدركت ثلاثة لن يرى مثلهم أبداً ، يعجز النساء أن يلدن مثلهم ، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام ، ما أمثله إلا بجبل نفخ فيه روح ، ورأيت بشر بن الحارث ، ما شبهته إلا برجل عجن من قرنه إلى قدمه عقلاً ، ورأيت أحمد بن حنبل كأن الله عز وجل جمع له علم =

والنسائي (١)

== الأولين من كل صنف ، يقول ماشاء ويمسك ماشاء ؛ وعن الحسن بن العباس قال : قلت لأبي مسهر : هل تعرف أحداً يحفظ على هذه الأمة دينها ؟ . قال : لا أعلم إلا شاباً بالمشرق ؛ يعنى أحمد بن حنبل . وروى عن ابن حنبل أنه قال : إذا جاء الحديث فى فضائل الأعمال وثوابها وترغيبها تساهلنا فى إسناده ، وإذا جاء الحديث فى الحدود والكفارات والفرائض تشددنا فيه . وكان الشافعى يزور ابن حنبل كثيراً فى منزله ، فعوتب الشافعى فى ذلك . فأنشد :

قالوا : يزورك أحمد وتزوره ؛ قلت : الفضائل لا تفارق منزله
إن زارنى فبفضله ، أو زرتسه فلفضله ، فالفضل فى الحالين له
وكان ابن حنبل يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقانى ؛ ولما مرض
عرضوا بوله على الطيب ، فنظر إليه وقال : هذا بول رجل قد فتت الغم والحزن
كبده ! . توفى رضى الله عنه ببغداد فى الثانى عشر من ربيع الأول صبيحة
الجمعة سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وقد تجاوز سبعاً وسبعين سنة ، وشيع
جنازته من الرجال ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستون ألفاً ، ومناقبه كثيرة ،
وفى سيرته وضعت كتب متعددة .

(١) هو الامام أحد الأعلام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على
ابن سنان بن بحر بن دينار النسائي — نسبة إلى نسا مدينة بخراسان — وهو
صاحب المصنفات ، وصاحب السنن فى الحديث ، ولد سنة خمس وعشرين
ومائتين ؛ ونشأ ورعاً تقياً حافظاً حجة ، رئيساً نبيلاً حسن البرة كبير القدر ،
له أربع زوجات يقسم لهن ، ولا يخلو من سرية لفحولته ، ومع ذلك كان يصوم
صوم داود ويتمجد ، ورحل إلى الحجاز والشام والعراق وبصر والجزيرة
وكان فى الغزو شهماً شجاعاً متحرراً ، وكان أفقه مشايخ مصر فى عصره
وأعلمهم بالحديث ، واستوطن مصر فأقام بزقاق القناديل ، وكان يتشيع ،
وقد توفى شهيداً فى ثالث صفر — وقيل فى شعبان — بفلسطين ، وقيل بالرملة
ودفن ببيت المقدس وقيل بمكة ؛ وقال الدارقطنى : خرج حاجاً فامتحن بدمشق
وأدرك الشهادة ، فقال : اهلونى إلى مكة . فحمل وتوفى بها فى شعبان . وهو
مدفون بين الصفا والمروة ، رضى الله عنه .

والترمذى (١) أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ

وهى التى تخرق الحُجُبَ حتى تصل إلى الله عز وجل :

وفى الترمذى عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : (لا إله إلا الله) ليس لها دون الله حجاب حتى تصل إليه .

وفيه أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال :
ما من عبد قال لا إله إلا الله مخلصاً إلا فُتحت لها أبواب السماء حتى
تُفَضَّى إلى العرش .

ويروى عن ابن عباس (٢) رضى الله عنهما مرفوعاً : ما من شيء إلا بينه

(١) هو الامام الحافظ المبرز أحد الأئمة الأعلام أبو عيسى محمد بن عيسى ابن سورة بن موسى الضحاك السلمى الترمذى الضرير ، صاحب الجامع والتفسير ، ولد بترمذ سنة مائتين ، والترمذى مثلثة التاء والميم والمشهور فيهما الكسر ، قيل إنه رضى الله عنه ولد أكره ، وهو تلميذ الامام البخارى ، ومشاركه فيما يرويه فى عدة من مشايخه ، سمع منه شيخه البخارى وغيره ، وكان مبرزاً على الأقران آية فى الحفظ والاتقان ، وتصنيفه متقن ، وبه يضرب المثل ، وهو ممن يقتدى بهم فى علم الحديث ، وتوفى بترمذ سنة تسع وسبعين ومائتين .

(٢) هو البحر الحبر ترجمان القرآن فقيه الأمة ، الصحابى الجليل أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمى المكى ، ثم المدنى ، ثم الطائفى ، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد كنى بأبيه العباس . وهو أكبر ولده ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان جميلاً نبيلاً أبيض جسيماً وسيماً صبيح الوجه فصيحاً ، إذا مر فى الطريق قالت النساء : أمر المسك أم ابن عباس ؟ . وقال مسروق : كنت إذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس ، وإذا نطق قلت أفصح الناس ، وإذا حدث قلت أعلم الناس . وكان نبيلاً =

وبين الله حجاب ، إلا قول لا إله إلا الله ، كما أن شفيتك لا تحجبها
وكذلك لا يحجبها شيء حتى تنتهي إلى الله عز وجل .

وقال أبو أمامة ^(١) ما من عبد يهمل تهليله فيهنهها شيء دون العرش ،
وهي التي ينظر الله إلى قائلها ، ويحب دعواه ، أخرجه النسائي في كتاب اليوم
والليلة من حديث رجلين من أصحابه عن النبي ﷺ : من قال لا إله إلا الله

= المجلس مشحوناً بالطلبة في أنواع العلوم ، ولا عجب فقد دعا له الرسول فقال :
« اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » . وفي رواية أنه ضمه وقال :
« اللهم علمه الحكمة » وفي رواية أنه مسح ناصيته وقال : « اللهم علمه
الحكمة وتأويل الكتاب » . وكان مهيباً ربما كان له موكب بالرواية
والدراية في حين كان لمعاوية موكب بالولاية ، وقال عبيد الله بن عبد الله
ابن عتبة : كان ابن عباس قد فات الناس بخصال : بعلم ما سبقه ، وفقه
ما احتجج إليه من رأيه ، وحلم ونسب وتأويل ، وما رأيت أحداً كان أعلم
بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، ولا بقضاء أبي بكر وعمر
وعثمان منه ، ولا أفقه في رأى منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية ، ولا بتفسير القرآن
ولا بحساب ولا بفريضة منه ، ولا أثقب رأياً فيما احتجج إليه منه ، ولقد كان
يجلس يوماً للفقهاء ، ويوماً للتأويل ، ويوماً للمغازي ، ويوماً للشعر ، ويوماً
لأيام العرب . ١٥ . وكان عمر يستشير ابن عباس ويقول : غواص . وكان
عمر أيضاً يقول له : قد طرأت علينا عضل أفضية أنت لها ولأمثالها . وقال سعد :
ما رأيت أحضر فهماً ، ولا ألب لباً ، ولا أكثر علماً ، ولا أوسع حلماً من
ابن عباس ، ولقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات . ومناقبه جمة . توفي رضى الله عنه
بالطائف سنة ثمان وستين ، وهو ابن سبعين سنة ، وصلى عليه محمد بن الحنفية
رضي الله عنهما .

(١) هو الصحابي الجليل أبو أمامة صدى بن عجلان الباهلي نزيل حمص
وقد قال عن نفسه : كنت يوم حجة الوداع ابن ثلاثين سنة ، وقد توفي رضى
الله عنه سنة ست وثمانين ، فيكون عمره حينئذ مائة وست سنين ، وذلك لأن
حجة الوداع كانت في السنة العاشرة .

وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ؛ مخلصاً بها قلبه ، يصدق بها لسانه ، إلا فتق الله له السماء فتقاً ، حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض ، وحقَّ لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤاله .

وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها ، كما خرَّجه النسائي والترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال ، إذا قال العبد : لا إله إلا الله والله أكبر ؛ صدقه ربّه ، وقال لا إله إلا أنا وأنا أكبر ؛ وإذا قال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ؛ قال الله : لا إله إلا أنا وحدي ، لا شريك لى . وإذا قال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد ؛ قال الله : لا إله إلا أنا ، لى الملك ، لى الحمد . وإذا قال العبد : لا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال الله : لا إله إلا أنا ، ولا حول ولا قوة إلا بى .

وكان يقول : من قالها فى مرضه ثم مات لم تطعمه النار .
وهى أفضل ما قاله النبيون ، كما ورد ذلك فى دعاء يوم عرفة .
وهى أفضل الذكركافى حديث جابر المرفوع : أفضل الذكرك لا إله إلا الله .
وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أحب كلمة إلى الله لا إله إلا الله ، لا يقبل الله عملاً إلا بها .

وهى أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفاً^(١) ، وتعديل عتق الرقاب ، وتكون حرزاً من الشيطان ، كما فى الصحيحين عن أبى هريرة

(١) تضعيفاً : أى تكثيراً للشواب ومضاعفة له . وتعديل : تساوى .

رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : من قال « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مائة حسنة ، ومحى عنه مائة سيئة ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به ، إلا واحد عمل أكثر من ذلك .

وفيها أيضاً عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ : من قالها عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل .

وفي الترمذي عن عمر مرفوعاً : من قالها إذا دخل السوق وزاد فيها « يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير » كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحى عنه ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة وفي رواية : يبني له بيتاً في الجنة .

ومن فضائلها أنها أمان من وحشة القبر وهول الحشر ، كما في المسند وغيره عن النبي ﷺ : ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم ، وكأني بأهل لا إله إلا الله قد قاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ، ويقولون : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن .

وفي حديث مرسل (١) من قال : « لا إله إلا الله الملك الحق المبين » كل يوم مائة مرة كانت له أماناً من الفقر ، وأنساً من وحشة القبر ، واستجلب به الغنى ، واستقرع به باب الجنة .

(١) المرسل : هو ما سقط منه الصحابي .

وهي شعار المؤمنين إذا قاموا من قبورهم :
 قال النظر بن عربي (١) : بلغني أن الناس إذا قاموا من قبورهم كان شعارهم : لا إله إلا الله .
 وقد خرج الطبراني (٢) مرفوعاً : أن شعار هذه الأمة على الصراط لا إله إلا أنت .

ومن فضائلها أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء ، كما في حديث عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيمن أتى بالشهادتين بعد الوضوء ، وقد خرجه مسلم .

وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده

(١) النظر بن عربي : لم نجد هذا الاسم ، ويغلب على ظننا أنه محرف عن (النضر) . وهو إذن أبو روح أو أبو عمر النضر بن عربي الباهلي الحارثي ، وثقه ابن معين ، وقال أبو حاتم : لا بأس به . توفي سنة ثمان وستين ومائة .
 (٢) هو الإمام مسند الدنيا الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ابن مطير الطبراني أحد الأئمة المعروفين والحفاظ الكثيرين والطلاب الرحالين الجوالين ، والمشايخ المعمرين والمصنفين المحدثين ، والثقات الأثبات المعدلين ، سمع بالشام والعراق ، وصنف المعجم الكبير في أسماء الصحابة الكرام ، والأوسط في غرائب شيوخه ، والصغير في أسماء شيوخه ، وغير ذلك من الكتب ، وروى عنه الكثيرون . قال ابن العميد : ما كنت أظن في الدنيا حلاوة ألد من الرياسة والوزارة التي أنا فيها حتى شاهدت مذاكرة سليمان ابن أحمد الطبراني . . . وتمني ابن العميد في عبارة طويلة له أن يكون في مكان الطبراني بدل الوزارة والرياسة . وولد الطبراني بطبرية من بلاد العجم سنة ستين ومائتين وتوفي بأصبهان سنة ستين وثلاثمائة ، فعمره مائة سنة كاملة رضي الله عنه .

ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلته ألقاها إلى مريم وروح منه ،
 وأن الجنة حق ، والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله
 يبعث من في القبور ، فُتحت له أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء .
 وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة (١) رضى الله عنه عن النبي ﷺ
 في قصة منامه الطويل ، وفيه قال : رأيت رجلا من أمتي انتهى إلى أبواب
 الجنة ، فأغلقت دونه ، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب ،
 وأدخلته الجنة .

ومن فضائلها أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فإنهم
 لا بد أن يخرجوا منها :

وفي الصحيحين عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ : يقول الله :
 « وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله » .
 وخرج الطبراني عن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن ناساً
 من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم ، فيقول لهم أهل اللات

(١) هو الصحابي عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس العبشمي
 من مسلمة الفتح ، وقد افتتح سجستان وكابل أميراً لعبد الله بن عامر ،
 وهو راوى الحديث الذي رواه الخمسة في الزهد في الإمارة ، وهو « عن
 عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم :
 يا عبد الله ، لا تسأل الإمارة ، فإني أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن
 أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها ، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها
 خيراً منها فكفر عن يمينك وأتِ الذي هو خير » . توفي رضى الله عنه
 سنة خمس للهجرة .

والعزى (١) : ما أغنى عنكم قولُ لا إله إلا الله ؛ فيغضب الله لهم فيخرجهم من النار ، ويدخلهم الجنة . ومن آمنَ في سخطه ممسياً فكيف يكون إذا ما رضى ؟ . لا يسوَّى بين من وحد الله وإن قصرَ في حقوقِ توحيده وبين من أشرك به .

وقال بعض السلف : كان إبراهيم عليه السلام يقول : اللهم لا تشرك من يشرك بك شيئاً بمن لا يشرك بك شيئاً .

كان بعض السلف يقول في دعائه : اللهم إنك قلت عن أهل النار إنهم « أقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت (٢) » ، اللهم لا تجمع بين أهل القسمين في دار واحدة .

وكان أبو سليمان (٣) يقول : إن طالبني يبخل طالبته بجوده ، وإن

(١) صنم مشهوران من أصنام العرب التي كانت تعبد في الجاهلية قبل الاسلام .

(٢) سورة النحل ، آية ٣٨ — والآية بتمامها : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ، بلى وعدا عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

(٣) لعله الزاهد القدوة أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني العنسي ، كان عديم النظير زهداً وصلحاً ، وله كلام رفيع في التصوف والمواعظ ، وكان كبير الشأن في علوم الحقائق والورع ، ومن كلامه : من أحسن في نهاره كوفي في ليله ، ومن أحسن في ليله كوفي في نهاره ، ومن صدق في ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه ، والله أكرم من أن يعذب قلباً ترك شهوة له ، وأفضل الأعمال خلاف هوى النفس . وقال أحمد بن أبي الخوارى : قلت لأبي سليمان : صليت أسس صلاة في خلوة فرأيت لها لذة ؛ فقال لي : وأى شئ ألد منها ؟ . قلت : كونه لم يرنى أحد . فقال : يا أحمد ، إنك لضعيف حيث خطر بقلبك =

طالبني بذنوبي طالبتة بعفوه ، وإن أدخلني النار أخبرت أهل النار أني أحبه .
 ما أطيب وصاله وما أعذبه ! وما أثقل هجره وما أصعبه !
 في السخط والرضى فما أهيبه ! القلب يحبه وإن عذبه !
 كان بعض العارفين يبكي طول ليله ويقول : إن تعذبني فإنني لك محب ،
 وإن ترحمني فإنني لك محب ! .. العارفون يخافون من الحجاب أكثر مما
 يخافون من العذاب .

قال ذا النون^(١) : خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لجي .
 كان بعضهم يقول : إلهي وسيدى ومولاى ! لو أنك عذبتني بعذابك
 كله كان ما فاتني من قربك أعظم عندي من العذاب .
 قيل لبعضهم : لو طردك ما كنت تفعل ؟ فقال :

إن أنا لم أجد من الحب وصلا رمت في النار منزلا ومقيلا
 ثم أزعجت أهلها بندائى بكرة في عرصاتها وأصيلا
 معشر المشركين ناحوا على من يدعى أنه يحب الجليلا
 لم يكن في الذى ادعاه محققا فجزاه به العذاب الطويلا !

= ذكر الخلق ! . وإليه تنسب كرامات وخوارق ، وهو ينسب في الصحيح
 إلى (داران) قرية بغوطة دمشق . وتوفى سنة خمس ومائتين .

(١) كذا بالأصل ، والصواب عربية : ذو النون ؛ ولعله ذو النون
 المصرى ، وقد سبقت ترجمته ص ٣٠

إخوانى !

اجتهدوا اليوم فى تحقيق التوحيد ، فإنه لا ينجى من عذاب الله إلا إياه .
ما نطق الناطقون بأحسن من « لا إله إلا الله » .

تبارك ذو الجلال والإكرام	ومن شهد أن لا إله إلا هو
من يغفر الذنوب ومن يمحصها	غيرك يا من لا إله إلا هو
جنات خلد له لمن يوحده	أشهد أن لا إله إلا هو
ناره لا تحرق من	يشهد أن لا إله إلا هو
أقولها مخلصاً بلا بخل	أشهد أن لا إله إلا هو (١)

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

ولا حول ولا قوة إلا بالله

العلى العظيم

(١) جاء بالأصل الذى بين أيدينا بعد ذلك عبارة (وآخره تم)
ولا حاجة إليها .

كلمة في الاخلاص

بقلم شارح الكتاب

معنى الاخلاص لغة :

الإخلاص في اللغة هو التصفية ، وتمييز الشيء عن غيره ، والإخلاص كل شيء أبيض ، والإخلاصة ما خلص من الشيء نقياً ، وأخلص العبد لله ترك الرياء ، وأخلص الرجل السمن أخذ خلاصته ، وخَالَصَ فلانٌ فلاناً صافاه ، واستخلصه لنفسه استخصه بالمودة .

معنى الاخلاص في الشرع :

الإخلاص في عرف رجال الملة هو إتقان العبادة وإخلاصها لله كأنك تراه ، وتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب والعلائق والأغراض ، وهو منزلة الأولياء والصدقين والمصطفين من المقربين ، لأنه كما ورد في بعض الآثار القدسية سر من أسرار الحق تبارك وتعالى ، يودعه قلب من يشاء من عباده ؛ فيظل مطوياً مستوراً بين العبد وربه ، حتى يلقاه به فيجزيه عليه يوم الدين خير الجزاء ، لا يطلع عليه مَلَكٌ فيكتبه بين

معتاد الأعمال ، ولا شيطان فيحاول إفساده ؛ وقد عقد حجة الإسلام الإمام الغزالي رضي الله عنه بحثاً طويلاً ممتعاً في كتابه « الإحياء » عن الإخلاص ، أطل فيه القول وفصل وأمتع ، وقد أفدنا كثيراً من الرجوع إليه وإلى غيره في هذه العجالة .

وقد نصوا على أن قليل العمل مع وجود الإخلاص خير من كثيره بدونه ، والإخلاص هو سر النجاح في الأعمال ، وسر القبول لها ، وسر البلوغ إلى الآمال ، والوصول إلى المطلوب مهما كان جليلاً وبعيداً ، لأنه سبب لاستمداد عناية الله ومعونته ورعايته ، ومن كان الله في عونته فقد فاز وغلب ؛ كما أن المخلصين من العباد بمنجاة من كثير من الآفات والزلات ، فهم لا يصل إليهم تضليل المضلين ، ولا وسوسة الشياطين ، ولا تلبس إبليس ، ولذلك عند ما عزم إبليس عزيمته الخاسرة الفاجرة على إضلال العباد استثنى من بينهم المخلصين ، إذ لا يستطيع معهم إضللاً ، فقال مخاطباً في ذلك ربّ العزة : « إلا عبادك منهم المخلصين » .

والإخلاص تتعدد جهاته ونواحيه ومقاصده في الحياة ، ففي القمة يأتي إخلاص العبد لربه ، وهو إفراده بالعبادة والتقديس ؛ وإخلاص المسلم لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو حبه له وحرصه على سنته وتمسكه بهديه وفناؤه في خدمة ماته وشرعته ؛ وإخلاص الإنسان لبنى الإنسان بأن يريد لهم الخير ويتمنى لهم الهداية والتوفيق ، ويعمل لذلك ما استطاع إليه سبيلاً ؛

وإخلاص المرء لوطنه بأن يدافع عنه ؛ ويضحى في سبيله بالنفس
والنفس ، وإخلاص المرء لأهله وأصدقائه أو مخالطيه . . . وما استفاض
الإخلاص بين جماعة من الجماعات في شؤون الدين والدنيا
إلا استفاض فيهم الخير ، وزهق من بينهم الباطل . وكانوا من
خيرة السعداء .

ولذلك حرص الأولون والكرام السابقون من صفوة هذه الأمة
على طلبه وتحقيقه والحث عليه ، إذ كانوا يرون فيه خلاصهم وخيرهم ،
فها هو ذا عمر يكتب لأبي موسى الأشعري قائلاً : من خلصت نيته
كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس .

وكان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول : يا نفس ! أخلصي
تخلصي ! .

وقال بعضهم : في إخلاص ساعة نجاة الأبد ، ولكن الإخلاص عزيز .
وقيل : العلم بذر ، والعمل زرع ، وماؤه الإخلاص .

وقال الجنيد : إن لله عبداً عقلوا . فلما عقلوا عملوا ، فلما عملوا أخلصوا ،
فاستدعاهم الإخلاص إلى باب البر أجمع .

كلمة الاضطرار :

اشتهر بين المسلمين إطلاق كلمة الإخلاص على شهادة أن « لا إله
إلا الله » ، وصارت هذه الكلمة كعلم لهذه الشهادة ، لأن معناها أنه لا معبود

بحق إلا الله ، وليس هناك من إله يستحق وصف الإلهية بصدق إلا الله سبحانه ، وإذا أقر المرء بهذه العقيدة ، وآمن بها ، وأيقن بمعناها ، واستجاب لهداها ، فقد أخلص وجهه لله حنيفاً مساماً ، وابتعد عن ضلالات العقائد وأباطيل الظنون ، فيتحقق فيه معنى الإخلاص كاملاً ، ويسوقه إخلاصه لربه إلى إخلاصه في سائر النواحي والجهات .

حقيقة الإخلاص :

قالوا : كما أن كل شيء صفا عن شَوْبه وخلص عنه سمي خالصاً ، كذلك يسمى العمل المصنّى المنقى الخَلَصَ إخلاصاً ، وضد الإخلاص هو الإشرak والرياء ، ومن لم يرزق نعمة الإخلاص لله فقد أشرك به - نعوذ بالله من الإشرak والمشركين ! - وكما أن الشرك منه خفي وجلي كذلك الإخلاص .

ومحل الإخلاص القلب ، لأن مداره على النية والقصد ، وكلاهما من أعمال القلوب ، وقد تشدد الإمام الغزالي رحمه الله في أمر الإخلاص وشروط تحقيقه ، فجعل من الرياء والميل عن شرعة الإخلاص كلَّ عمل اقترن فيه بنية محضٍ للتقرب شيء آخر أو نية أخرى ، كفائدة فردية أو اجتماعية ، وأكثر لذلك من ضرب الأمثال في جميع مناحي الحياة ، مما يخاف أمامه الإنسان العادي ، ويخشى على سائر أعماله ، أو جلها على أقل

تقدير ، من وجود الرياء فيها ، ولعل الغزالي رحمه الله أراد من ذلك أن يبين لنا سورة الإخلاص الكاملة ، وأن يذكّرنا بأن طريقه صعب شاق شائك لا يقدر على السير فيه إلا أولو العزم من خالص الرجال .

ولكن لو تذكرنا — أو لو تذكر الغزالي — أن العمل الذي اصطّلحنا على تسميته بأنه « عمل دنيوى » إذا لم يحرمّ حلالاً ، ولم يحلّ حراماً ، يكون مطلوباً من العبد مثاباً عليه ، لأن الإسلام شريعة دين ودنيا ، ودستور أولى وآخر ، وعقيدة روح وجسد ؛ تخفف من تشديده ، وخاصة أنه هو نفسه — عليه رضوان الله — يعود بعد قليل فيذكر لنا أن كثيراً من أعمال الدنيا كالطعام والشراب والنوم إذا أريد بها قصد شريف تكون كالعبادة ! . .

إذن فدار الأمر على النية : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » .

والسبيل إلى تحقيق الإخلاص هو حرمان النفس وقطع الطمع ، والتجرد للعبادة ، ودوام التذكر لله ، ولذلك قال سهل : الإخلاص هو أن يكون العبد وحركانه لله تعالى خاصة . وقيل له : أى شيء أشد على النفس ؟ . فقال : الإخلاص ، إذ ليس لها فيه نصيب ! .

ولذلك جعلوا من آفات الإخلاص وحوائل الرياء وشهوات النفس
والرغبة في متاع الحياة .

وقد ترتب على وجود الإخلاص وعدمه اختلاف في جزاء العبد على
عمله ، فالعمل الذي كله رياء لا ثواب له قطعاً ، بل هو سبب للعنة ؛
والعمل الذي كله إخلاص سبب لعلو الدرجات ومضاعفة الثواب ، وتلك
منزلة المقرين ؛ والعمل الذي يغلب فيه الإخلاص ويقل حظ النفس ، له
ثواب وأجر على الظاهر ، وقد تشدد بعضهم فقال بعدم الثواب له ، وقد
اختلفوا أيضاً في العمل المختلط المتساوي ، وفي العمل الذي يكثر فيه الرياء
أو حظ النفس ويقل الإخلاص ، وحسبنا في هذا المجال مشكاة ونوراً قول
الحق : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »
والله عليم بذات الصدور .

ذكر الاضمار في القرآن :

وفد أفاض القرآن الكريم في ذكر الإخلاص لما له من جليل الشأن
وعظيم الخطر ، فترددت كلمة الإخلاص وما تصرف منها في آيات كثيرة
من الكتاب المجيد ، واستفاضت حول كل كلمة منها معان يستطيع المسلم
بقليل من المراجعة والتدبر أن يستضيء بأشعتها وأضوائها ، وحسبنا في هذه

العجالة أن نذكر طائفة من هذه الآيات ، وعقيب كل آية السورة التي وردت فيها ، ورقم الآية .

١ — ألا لله الدين الخالص . « الزمر — ٣ »

٢ — إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله

فأولئك مع المؤمنين . « النساء — ١٤٦ »

٣ — إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار . « ص — ٤٦ »

٤ — إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين .

« الزمر — ٢ »

٥ — قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين . « الزمر — ١١ »

٦ — ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون . « البقرة — ١٣٩ »

٧ — وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين .

« الأعراف — ٢٩ »

٨ — وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين .

« لقمان — ٣٢ »

٩ — فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

« غافر — ١٤ »

١٠ — هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين .

« غافر — ٦٥ »

١١ — وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء .

« البينة — ٥ »

١٢ — إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً . « مريم — ٥١ »

١٣ — كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين

« يوسف — ٢٤ »

١٤ — ولأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين .

« الحجر — ٤٠ »

١٥ — وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ، إلا عباد الله المخلصين .

« الصافات — ٤٠ »

١٦ — فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ، إلا عباد الله المخلصين .

« الصافات — ٧٤ »

١٧ — فكذبوه فإنهم لمحضرون ، إلا عباد الله المخلصين .

« الصافات — ١٢٨ »

١٨ — سبحان الله عما يصفون ؛ إلا عباد الله المخلصين .

« الصافات — ١٦٠ »

١٩ — لو أن عندنا ذكراً من الأولين لكنه عباد الله المخلصين .

« الصافات — ١٦٩ »

٢٠ — قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين .

« ص — ٨٣ »

أرأيت كيف استفاض حديث الإخلاص العطر في كتاب الله المجيد ،
ورأيت كيف أحيط الإخلاص والمخلصون في كل مكان بالتكريم والتمجيد؟!!

سورة الاخلاص

وفوق هذا فإن في القرآن الكريم سورة مستقلة خاصة اسمها « سورة
الإخلاص » وهي أشهر من الشمس بين المسلمين ، يرتلون صباح مساء
ذاكرين بها وحدانية الله وصفاته ، وهي : « بسم الله الرحمن الرحيم ، قل
هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » .

وقد أفاض المفسرون والصوفيون وأرباب الخصائص القرآنية في تفسير
هذه السورة ، والحديث عن أسمائها وخصائصها ، وأوقات تلاوتها المستحبة ،
وعدد المرات المختلفة التي تتلى بها ، والنعم التي تكتب لمن يتلوها ، والأسرار
العجيبة المستكنة في ألفاظها ومعانيها ، والدلائل العديدة المستنبطة من آياتها
وغير ذلك ، حتى أفردها كثيرون بالبحث والتفسير ؛ ومن الممكن لك أن
تعود إلى هذه الينابيع في كتب القوم وآثارهم لتأخذ من رحيقها ما تريد
وتطبق ؛ وحسبنا في هذه العجالة أن نفسر السورة تفسيراً وجيزاً
مناسباً للمقام .

إنها تسمى سورة الإخلاص لأنها خالصة لله ، ليس فيها سوى وصفه ،
ولها فوق هذا كثير من الأسماء ، منها : التفريد ، والتوحيد ، والتجريد ،
والنجاة ، والمعرفة ، والجمال ، والصمد ، والأساس ، والمناعة ، والمنفرة ، والمذكورة ،
والأمان ، وغير ذلك كثير .

وتفسيرها هو : (قل) يا محمد ، أو يا من يتأتى منك القول (الله أحد)
أى واحد فرد ، لا نظيره ولا شبيهه ولا مثيل ولا شريك ، ليس كمثله شئ ،
(الله الصمد) أى الذى يصمده الخلاق ، أى يقصدونه فى حاجاتهم ، من
قولهم صمد إليه يصمد بمعنى قصده ، وذلك لأنه غنى عن العالمين ، وكل من
فى العالمين ، وكل ما فى العالمين محتاج إليه ؛ وقيل الصمد الذى لا يأكل
ولا يشرب ، أو الذى لا جوف له ، أو السيد ، أو الدائم الباقى الكافى ،
أو الذى لا يخاف من فوقه ولا يرجو من تحته ؛ أقوال فى معنى الصمد ،
والأشهر الأول ، (لم يلد) لأنه يتعالى عن المجانسة ، ولا يحتاج إلى من
يعينه أو من يخلفه ، إذ هو لا يفنى ولا يفتقر . (ولم يولد) لأنه لم يسبقه
عدم ولا والد له ، (ولم يكن له كفواً أحد) أى لا يوجد من يماثله من
صاحبة أو غيرها ، وليس له نظير يشاركه أو يعادله فى عظمته ، « لو كان
فيهما أكلة إلا الله لفسدتا » .

وقد روى بشأن سورة الاخلاص هذه كثير من الأحاديث لا نرانا
بحاجة الآن إلى ذكرها هنا .

وحسبنا منها قول الرسول ﷺ : « من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن » ، وقوله : « من قرأ سورة الاخلاص بإخلاص حرم الله جسده على النار » ، وقوله . « من قرأ (قل هو الله أحد) عشر مرات بنى الله له بيتاً فى الجنة » ، وقوله : « من قرأ (قل هو الله أحد) كل يوم خميس مرة نودى يوم القيامة من قبره : قم يا ماح الله فادخل الجنة » . وقال رجل لرسول الله ﷺ : إني أحب سورة قل هو الله أحد ، فقال له الرسول : حبك إياها أدخلك الجنة ! .

ذكر الاخلاص فى السنة :

كذلك استفاض ذكر الاخلاص فى سنة الرسول عليه الصلاة والسلام فقد روى البخارى أن أبا هريرة قال : يا رسول الله ، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك (أى قبلك) لما رأيت من حرصك على الحديث ؛ أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ، أو من نفسه .

وروى مسلم أن الرسول ﷺ قال : إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم .

وقال : قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الأغنياء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيرى تركته وشركه .

وروى الترمذى أنه قال : إذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم لا ريب فيه ، نادى مناد : من كان أشرك في عمل عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله ، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك .

وعن أبي موسى الأشعري قال : خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : أيها الناس ، اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل ، فقال رجل : وكيف نتقيه وهو أخفى من ديب النمل يا رسول الله ؟ ، قال : قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه ، ورؤى أن الرسول ﷺ قال : طوبى للمخلصين ! أولئك مصابيح الهدى ، تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء ! .

ورؤى عن معاذ بن جبل قال : لما بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن قلت : أوصنى . فقال ﷺ : أخلص دينك يكفك القليل من العمل (أى اجعل إيمانك خالصاً مما يشوبه من شهوات النفس ، وأخلص طاعتك لله يصبح القليل من عملك كثيراً مباركاً) .

أقوال في الإخلاص :

قال رويم : الإخلاص في العمل هو ألا يريد صاحبه عليه عوضاً في الدارين .

وقال أبو عثمان : الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط .

وقيل : الإخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا عن العلائق .

وقيل : الإخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها .

وقال الجنيد : الإخلاص تصفية العمل من الكدورات .

وقال المحاسبي : الإخلاص هو إخراج الخلق عن معاملة الرب .

أما بعد ، فرزقنا الله وإياك نعمة الإخلاص وحلاوة التقوى ، وجنبنا
شهوات النفس وجواذب الدنيا ، وأنار لنا السبيل باليقين والهدى ، وحفظنا
من زلات الرياء والنفاق ، وغفر لنا ما لا نعلم وما لا نستطيع من حظوظ
النفس ودواعيها ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

فهرس الكتاب

الموضوع

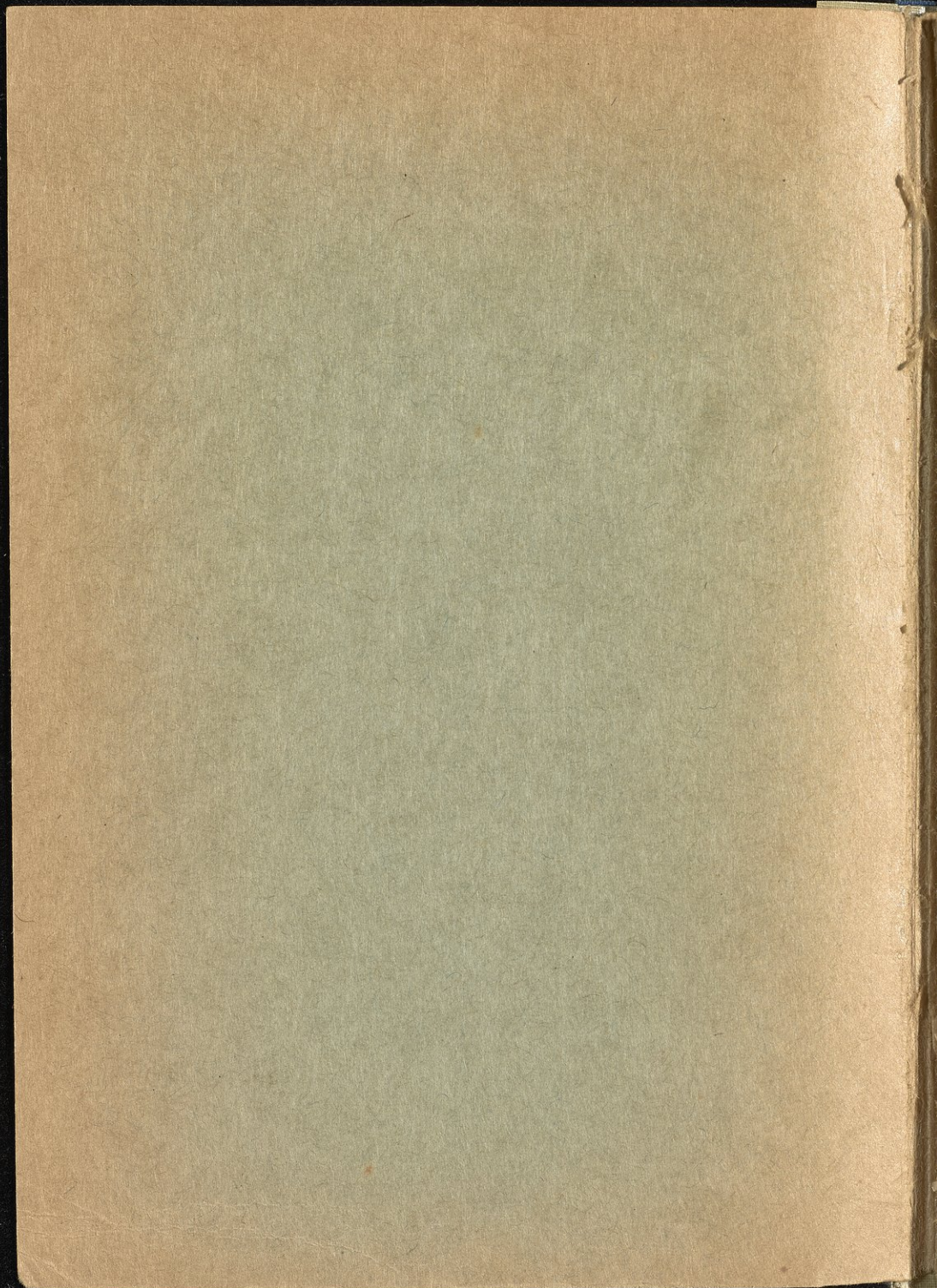
الصفحة

٣	تصدير
٥	التعريف بابن رجب
٧	ترجمة البخارى ومسلم
٨	ترجمة أنس بن مالك ومعاذ بن جبل
٩	تحريم النار على من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله
٩	ترجمة عتبان بن مالك وأبى هريرة
١٠	ترجمة أبى سعيد الخدرى
١٠	غزوة تبوك
١١	حدوث البركة بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم
١١	ترجمة أبى ذر الغفارى
١٢	المعاصى لا تمنع دخول الجنة
١٢	ترجمة عبادة بن الصامت
١٣	هل يعذب الله العبد على المعاصى مع أنه موحد
١٤	ترجمة الحسن البصرى
١٥	ترجمة وهب بن منبه والفرزدق
١٦	لا اله الا الله مفتاح الجنة
١٦	ترجمة أبى أيوب الأنصارى
١٧	العمل الذى يدخل صاحبه الجنة
١٧	تعريف بمسند ابن حنبل وترجمة ابن الخصاصية

١٨	حديث « أمرت أن أقاتل الناس »
١٨	ترجمة الفاروق (عمر بن الخطاب)
١٩	ترجمة عبد الله بن عمر
٢٠	ترجمة الزهري والثوري
٢٢	الاخلاص في كلمة التوحيد
٢٢	ترجمة زيد بن أرقم
٢٣	تحقيق معنى كلمة التوحيد وايضاحه
٢٤	ضرر اتباع الهوى
٢٤	ترجمة قتادة وأبي أمامة
٢٥	التنفير من اتباع الشيطان
٢٦	عباد الله المخلصون
٢٧	ما تقتضيه كلمة الاخلاص
٢٧	ترجمة الليث بن سعد ومجاهد بن جبر
٢٨	ترجمة الحاكم والسيدة عائشة
٢٩	الشرك أخفى من ديب الذرة على الصفا
٣٠	ترجمة ذى النون وبشر الحافى
٣١	علامة المحبة لله
٣١	ترجمة أبي يعقوب النهرجورى ويحيى بن معاذ
٣٢	من يطع الرسول فقد أطاع الله
٣٢	ترجمة رويم بن أحمد البغدادى
٣٣	أسباب حلاوة الايمان
٣٤	حال خواص المحبين الصادقين
٣٤	ترجمة ابن أبى الدنيا
٣٥	ترجمة ابن اسحق
٣٦	النجاة يوم الدين
٣٧	مخاطر الرياء

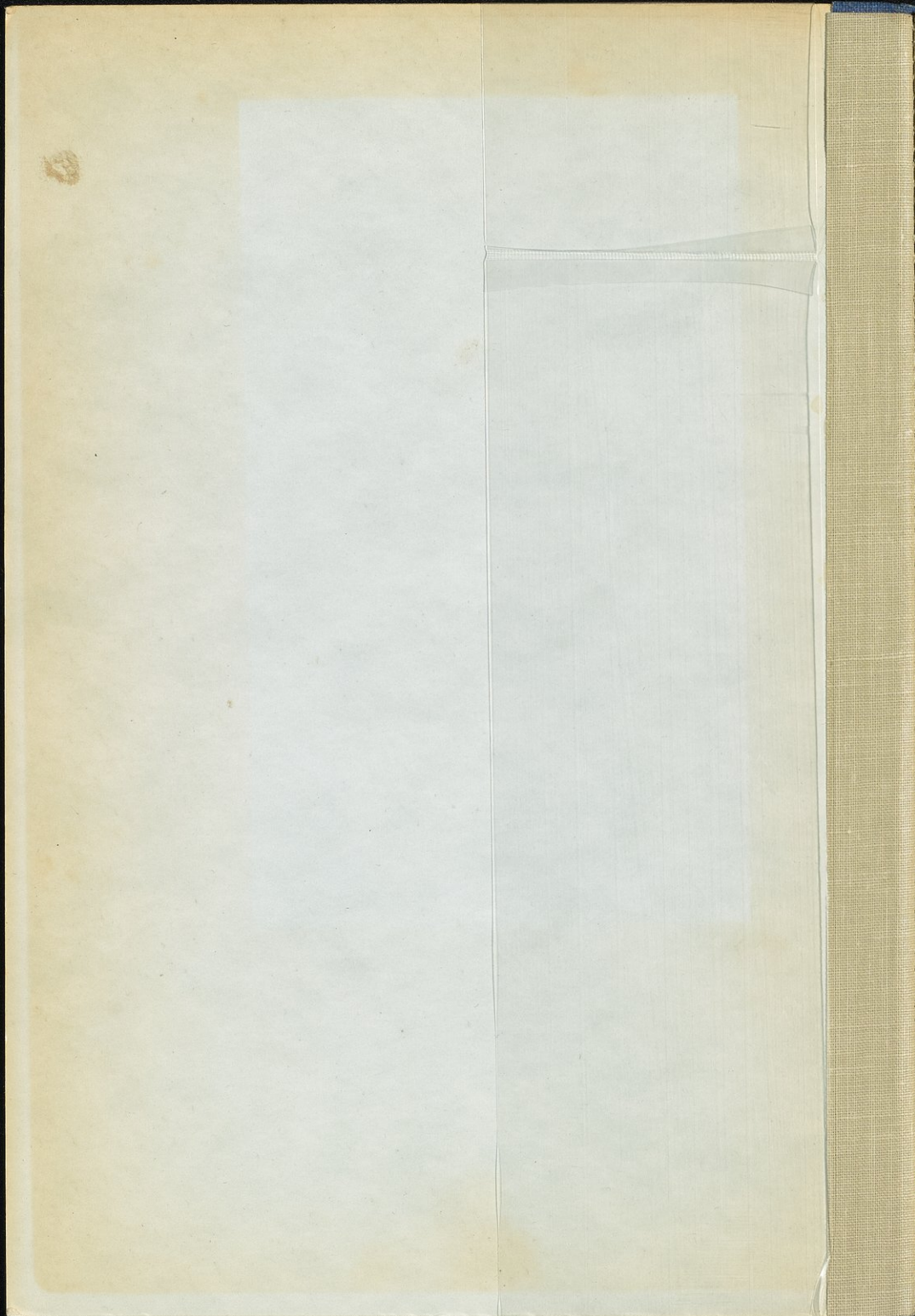
٣٨	ترجمة جابر بن عبد الله الأنصارى
٣٩	ترجمة الجنيد شيخ الصوفية
٤٠	أشواق المحبين
٤١	ترجمة داود الطائي
٤٢	الصدق في قول لا اله الا الله
٤٢	ترجمة زيد بن أسلم
٤٣	« أهل ذكرى أهل مجالستي »
٤٣	ترجمة الشعبي
٤٤	كيف يطهر الله عباده من الذنوب
٤٤	ترجمة ابن حبان
٤٥	الخوف من الله عز وجل
٤٦	كيف تستعين على غرض بصرک عن الحرام
٤٦	ترجمة ابن أسيد المحاسبي
٤٧	فضائل كلمة التوحيد
٤٨	ترجمة سفيان بن عيينة
٤٩	ترجمة البزار وعياض الأنصارى
٥٠	ترجمة شداد بن أوس
٥١	ترجمة ابن ماجة وأم هانئ
٥٢	ترجمة عبد الله بن عمرو
٥٣	ترجمة الامام أحمد بن حنبل
٥٤	ترجمة النسائي
٥٥	ترجمة الترمذى وابن عباس
٥٦	ترجمة أبو أمامة الباهلي
٥٧	أفضل ما قاله النبيون كلمة التوحيد
٥٨	جزاء من قال (لا اله الا الله)
٥٩	ترجمة النضر بن عربي والطبراني

٦٠	• • • • •	اخراج من قال (لا اله الا الله) من النار
٦٠	• • • • •	ترجمة عبد الرحمن بن سمرة
٦١	• • • • •	أقوال بعض السلف
٦١	• • • • •	ترجمة أبي سليمان الداراني
٦٢	•	العارفون يخافون من الحجاب أكثر مما يخافون من العذاب
٦٤	• • • • •	ملحق عن « كلمة الاخلاص »
٦٤	• • • • •	معنى الاخلاص لغة وشرعا
٦٦	• • • • •	كلمة الاخلاص (لا اله الا الله)
٦٧	• • • • •	حقيقة الاخلاص
٦٨	• • • • •	السبيل الى تحقيق الاخلاص
٦٩	• • • • •	ذكر الاخلاص في القرآن
٧٢	• • • • •	سورة الاخلاص
٧٤	• • • • •	ذكر الاخلاص في السنة
٧٥	• • • • •	أقوال بعض السلف في الاخلاص



[illegible]

Demco 38-297



NYU - BOBST



31142 02771 6920

BP134.F6 I3 1950

Tahqiq kalimat al-ikhlas